

مجلد الحاشية على العربي

(دمشق) : آب سنة ١٩٢٥ م الموافق محرم وصفر سنة ١٣٤٤ هـ ٦٧

شعراء الشام في القرن الثالث

= ٣ =

ابو تمام الطائي

ابو تمام حبيب بن أوس الطائي ولد بقربة جاسم من بلاد الجيدور من أعمال دمشق سنة (١٩٠) وخدم حائكا وعمل عنده بدمشق وكان أبوه خمارا بها، ورحل في حدائقه إلى مصر وكان يسقي الناس ماء بالجرة في المسجد الجامع بها، ثم جالس الأدباء فأخذ عنهم وتعلم وكان فطنا فهاجب الشعر فلم يزل يعاينه حتى أجاده، ولكنه لم يحمد مقامه في مصر فإن له قصيدة يشوق بها إلى دمشق ويشكو لقنير الرزق عليه في مصر نروي منها هذه الأبيات .

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| سقى الراح الغادي المنجر بلدة | سقتني أنفاس الصباية والخبيل |
| فجاد دمشقاً كلها جوداً أهله | بأنفسهم عند الكريمة والبذل |
| فلم يبق في أرض البقاعين بقعة | وجاد قرى الجولان بالمسبل المطل |
| بنفسي أرض الشام لا آمن الحى | ولا أيسر الدهنا ولا أوسط الرمل |
| عدائي عنكم مكرهاً غربة النوى | لها وطراً ابنت تمر ولا تحي |
| أخمسه أعوام مضت لمغيبه | وشيران بل يؤمان شكل على شكل |
| تواني وشيك النجى عنه ووكلت | به عزيمات أوقفته على رجل |
| فضى الدهر مني نجبه يوم فنله | هواي يارقال الغريبة القتل |

نأيت فلا مالا حويت ولم أقم فأمنع اذا نجعت بالمال والأهل
 بخلت على عرضي بما فيه صونه رجاء اجتناء الجود من شجر البخل
 عصيت شبا حزمي لطاعة جيرة دعيتني الى ان أفتح القفل بالقفل
 ومن هذه الابیات يعرف اب مدة اقامته في مصر كانت خمس سنوات فضاها
 بالضنك ، ولم يسلم من عداوة شعراء مصر فقد ورد في ديوانه قصيدتان يهجو بهما
 يوسف السراج الشاعر المصري ، ومهما يكن فان اوليته في الادب كانت في مصر
 ومنها سار شعره وشاع ذكره وبلغ المعتمض خبره لجماله اليه وقدمه على شعراء وفئه ،
 وجالس في بغداد الأديباء وعاشر العلماء وكانت بعد ذلك حياته القصيرة رحلة طويلة
 فقد رحل الى مكة حاجاً وله قصيدة في ذلك منها :

وقد أمت بليت الله نضواً على عيرانة حرف سعموم
 أتيت القادسية وهي تروى الي بعين شيطان رجم
 فما بلغت بنا عصفان حتى رنت بلحاظ لقمان الحكيم
 وذهب الى خراسان مادحاً عبداً لله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ، والى ارمينية
 مادحاً خالد بن يزيد ، والى بلاد الجبل مادحاً محمد بن الهيثم ، وزار نيسابور وأبرشهر
 والموصل وغيرها ، ولا أدل على كثرة أسفاره من قوله :

ما اليوم اول توديعي ولا الثاني للبين أكثر من شوقي واحزاني
 دع الفراق فان الدهر ساعده فصار املك من روحي وجثافي
 خليفة الخضر من برقع على وطن في بلدة فظهور العيس أوطاني
 بالشام أهلي وبغداد الهوى وانا بالرقة تين وبالفسطاط اخواني
 وما اظن النوى ترضى بما صنعت حتى تشافه بي اقصى خراسان
 خلت بالأفق الغربي لي سكننا قد كان عيشي به حلواً بجلوان
 وقوله ايضاً :

سلي هل عمرت النفر وهي سبابس وغادرت ربعي من ركابي سبابسا
 وغربت حتى لم اجد ذكر مشرق وشرقت حتى قد نسيت المغرباً

كان أبو تمام موصوفاً بالظرف وحسن الاخلاق وكرم النفس من ذلك انه كان يرى الادب نسباً ويرى له حقاً واجب الرعاية قال :

وقرابة الآداب نقصر دونها عند الأديب قرابة الأرحام
وقال في علي بن الجهم الشاعر وقد أراد سفرأ :

هي فرقة من صاحب لك ماجد فعداً إذابة كل دمع جامد

فأفرغ الى ذخر الشئون وعذبه فالدمع يذهب بعض جهد الجاهد

وإذا فقدت أخاً فلم تفقد له دمعاً ولا صبراً فليست بفاعد

أعلي يا ابن الجهم إنك دفت لي سماً وجراً في الزلال البارد

إن يكدر مطرف الأخاء فإننا نعدو ونسري في إخاء تالد

أو يختلف ماء الوصال فمأؤنا عذبٌ تحذر من غمام واحد

أو يفترق نسبٌ يؤلف بيننا أدبٌ أمناه مقام الوالد

وقال : أي شيء يكون أحسن من صبي أدبٌ مقيم يا أديب

ومن ذلك قوله يصف سخابة ويمثل فرح الأرض بها بفرحة الأديب بالأديب

لما بدت للأرض من قريب تشوقت لوبها السكوب

تشوق المرتض للطيب وطرب الحب للخبيب

وفرحة الأديب بالأديب

وفي أخذه بضبع المجتري وإطرانه له وتقديره آياه احسن دليل على عطفه على الادباء وحبه لهم ، وهذا خلق يكبره الانسان اذا علم ان القاسد اظهر ما يكون بين الشعراء .

وكان أبو تمام يتولى علياً وآله عليهم السلام وله في ذلك قصيدة منها قوله :

فعلتم بابناء النبي ورهطه أفاعيل ادناغا اخيانة والغدر

ومن قبله أخانتم لوصيه بداهية دهياء ليس لها قدر

أخوه اذا عدّ الثغار وصيره فلا مثله أنخ ولا مثله صير

ويوم الغدير استوضح الحق أملاً بنفجاء لافيهما حجاب ولا سر

أقام رسول الله يدعوهم بها ليقرّبهم عرف وينام نكر
 يمدّ بضبعيه ويعلم انه ولي ومولاكم فهل لكم خبر
 فكان لهم جهر باثبات حقه وكان لهم في برهم حقه جهر
 جعلت هواي الفاطميين زلفةً الى خالقي مادمت او دام لي عمر
 وكوفي ديني على ان منصبي شام ونجري آية ذكر النجر
 ولكنه مع ذلك اذا مدح بني العباس اثبت لهم من الحق في الخلافة ما ينبغي معه
 حق علي واولاده منها كقوله من قصيدة في الواثق :

فرسان مملكة أسود خلافة ظلّ الهدى غاب لهم وعرين
 قوم غدا الميراث مضروباً لهم سور عليه من القرآن حصين
 فيهم سكينه ربهم وكنابه وإمامته واسمه الخزون
 وكقوله من قصيدة في المعتصم :

فالأرض دار افترت ما لم يكن من هاشم ربّ لتلك الدار
 سور القرآن الغرّ فيكم أنزلت ولكم تصاغ محاسن الاشعار
 وكقوله من قصيدة في الواثق :

ورث الخلافة عن أسلافه التي تمتعت حمى الآباء والاعمام
 أخذ الخلافة بالوراثة أهلها وبكل ماضي الشفرتين حسام
 فلسورة الأنفال في ميراثه آثارها ولسورة الانعام
 لاقدح في عود الخلافة بعدما مئت اليك بجرمة وذمام
 هيات تلك قلادة الله التي ما كانت يتركها بغير نظام
 إرث النبي وجرمة الملك التي لم تخل من لهب بكم وضرام
 مذخورة احزمتها بحكومة لله تشدخ أروؤس الحكام
 اسنا مر يدي حجة نشني بها من ربة سقماً من الاسقام
 فالصبح مشهور بغير دلائل من غيره انبعثت ولا أعلام

فبأي اقواله تأخذ لعلم أشيعياً متشدداً كان أم من غلاة النواصب ؟ ولكن اذا
 أمعنا في البحث وجدنا ان قصيدته في الامام علي قالها في مصر قبل ان يتصل بالخلفاء

كما يعلم ذلك من القصيدة نفسها ، فلما وفد على المعتصم كان لا يزال موالياً علياً فمدحه بقصيدة لم يسرف فيها بمدح آل العباس ولم يسلب آل البيت حقهم فقال منها :
 آل النبي اذا ما ظلمة طرقت كانوا لنا سرجاً انتم لها شعل^(١)
 ثم لما أغدق عليه الخلفاء إعطياتهم أباح لنفسه أن يقول بهم ما سمعت ويجعل الخلافة إراثاً وحقاً لم نص عليه القرآن وأثارت به براءة من الرحمن .
 ولا بُدَّ أن نَمَّام كما لغيره من الشعراء ضرائب واشكال من مثل ما سمعت فهو يقول في الافشين والمعتصم راضٍ عنه :

لم يقر هذا السيف هذا الصبر في هيباء الا عزَّ هذا الدين
 قد كان عذرة مغرب فانتفضها بالسيف فحل المشرق الافشين
 فسيشكر الاسلام ما أوليته والله عنه بالوفاء ضمين
 ثم يقول لما قتله المعتصم وحرقه :

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الواري
 ناراً يساور جسمه من حرها لب كما عصفت شق إزار
 صلي لها حياً وكان يوقودها ميتاً ويدخلها مع الفجار
 وكذلك اهل النار في الدنيا هم يوم القيامة جل اهل النار

والذنب في مثل هذا الرياء يشترك به المادح والممدوح فان الخلفاء والملوك لم يرفعوا من قدر الشعر بمقدار ما وضعوا من اخلاق الشعراء .

قالوا وكان ابو تمام اسمر طويلاً فصيحاً حلوا الكلام فيه تمة يسيرة وفي ذلك يقول ابن المعتز او ابو العميش :

يا نبي الله في الشعب سر ويا عيسى ابن مريم
 انت من أشعر خلق الله ما لم نلتكلم

(١) في تاريخ ابن عساكر : إن أول قصيدة مدح بها ابو تمام المعتصم القصيدة التي منها هذا البيت :

وقال صاحب الاغانى : وكان إنشاد ابى تمام قبيحاً وكان له غلام اسمه الفتح اشتراه بثلاثمائة دينار لينشد شعره وكان غلاماً ادبياً فصيحاً .
 وولى الحسن بن وهب ابا تمام يريد الموصل فاقام بها اقل من سنتين وتوفي بها سنة (٢٣١) قال الجعفي : وبني عليه ابو نيشل بن حميد الطوسي قبة ، وقال ابن خلكان : رأيت قبره بالموصل خارج باب الميدان على حافة الخندق والعمامة تقول هذا قبر تمام الشاعر . ورثاه الحسن بن وهب وابن الزيات وديك الجن والجعفي .

رزق ابو تمام شهرة في حياته وبعد مماته قل ما ظفر بمثلا شاعر فقد تولى زعامة الشعر فكان الشعراء يعرضون عليه اشعارهم كما عرض الجعفي عليه شعره بمحمص إقراراً بامامته واعترافاً بفضله ، وقد زعم بعضهم انه ما كان احد من الشعراء يقدر على ان يأخذ درهماً بالشعر في حياة ابى تمام فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه . وظلّ المثل الاعلى لاكثر الشعراء اكثر من الف سنة يتخذون طريقته ويطبعون على غرارهِ ولو اردنا ان ننقل ما قيل فيه من التقريظ والثناء لطال نفس الكلام واقلّ ذلك ان ابا تمام والجعفي والمنذبي هم الثلاثة المجمع على تقديمهم والمختلف في ايعم اشعر . لانريد ان نروي آراء الناس في الرجل على علائها ولكن نحاول ان نعرف الأسباب التي أهلتهم لتبوء هذه المنزلة . الأسباب التي كوّنت عظمة ابى تمام ثلاثة على ما نظن : العلم ، والثقة بالفس ، والاختراع .

أما علمه : فقد اتفق الرواة على انه كان له من المحفوظات مالا يحقّه فيه غيره ، قيل انه كان يحفظ اربع عشرة ألف أرجوزة غير القصائد والمقاطيع ، وقال هو عن نفسه : لم أنظم الشعر حتى حفظت سبعة عشر ديواناً للنساء خاصة دون الرجال ، والكتب التي جمعها تدل على سعة اطلاعه وهي : كتاب الحماسة الذي دل على غزارة فضله وإتقان معرفته وحسن اختياره ، وكتاب فحول الشعراء جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والخضر . بين والاسلاميين ، وكتاب الاختيار من أشعار القبائل . ولم يكن علمه محصوراً في الشعر وانما كان مضطماً بعلوم العربية حتى ذكره الانباري في طبقات الادباء الفخاة دون غيره من الشعراء الذين عاصروه .

وفي تاريخ ابن عساکر : انه حدث عن صهيب بن ابي الصهباء الشاعر والعتاف ابن هرون وكرامة بن ابان العدوي والبي عبد الرحمن الاموي وسلامة بن جابر الهندي ومحمد بن خالد الشيباني وروى عنه خالد بن شريد الشاعر والوليد بن عبادة المجتري ومحمد بن ابراهيم بن عتاب والعبودي البغدادي .

وانت اذا نظرت في ديوانه رأيت أثر العلم بادياً فيه كل يراد امثال العرب ^(١) وذكر قبائلهم وأيامهم ووفائهم وأبطالهم وفرسانهم وأجوادهم وحكائهم وشعرائهم وكالاتهم الى تاريخ الفرس ^(٢) ولا تعدم في الديوان العثور على الاشارات الخفية ^(٣) والاصطلاحات العلمية كالخصوص والعموم ^(٤) وسيرد في معانيه المختصرة مسألة من مسائل الدور في الفقه .

وقال ابو عبد الله الرقي : رأيت من ابي تمام رجلاً عقله وعلمه فوق شعره، وقال الآمدي : كان ابو تمام مشهوداً له بالعلم والشعر والرواية وان العلم في شعره أظهر وانه أتى في شعره بمعان فلسفية .

واما ثقته بنفسه : فقد كان يرى ان المتأخر يدرك شأواً المتقدم وان الشعر صوب العقول فكما ان العقل لم يقصر على زمن دون زمن فكذلك الشعر قال :

يقول من نقرع اسماءه كم ترك الاول للآخر
وقال : فلو كان بفني الشعر أفناء ما قرئت حياضك منه في العصور الذواهب
ولكنه صوب العقول اذا انجلت محائب منه أعقت بحجاب

وربما قاده هذه الثقة الى الإعجاب الشديد بنفسه قال ابو هلال العسكري : كان المجتري يلقي من كل قصيدة بمثلها جميع ما يرتاب به فخرج شعره مهذباً وكان ابو تمام لا يفعل هذا الفعل وكان يرضى بأول خاطر فنعي عليه عيب كثير . وقال

- (١) كقوله : الا ويل الشجي من الخلي وبالي الربع من احدى يلي
- (٢) كقوله : بل كان كاضحاك في سطوانه بالعالمين وانت أفر يذون
- (٣) كقوله : خرقاء يلعب بالعقول حباها كتلاعب الافعال بالاسماء
- (٤) كقوله : ابن ينال العلي خصوصاً من الفت - بيان من لم يكن نداه عموماً

صاحب الاغانى : روي عن بعض الشعراء ان اباتمام اشده قصيدة له احسن في جميعها لا في بيت واحد ، فقال له : يا اباتمام لو القيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب ، فقال له : انا والله اعلم منه مثل ما تعلم ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل اولاده فيهم الجميل والقيح والرشيد والسافط وكلهم حلو في نفسه فهو وان احب الفاضل لم يبعض النافص وان هوي بقاء المتقدم لم يهو موت المتأخر . وقال له رجل لم لا تقول من الشعر ما يفهم ؟ فقال له وانت لم لا تفهم من الشعر ما يُقال ؟

وهو بعد يرى نفسه أشعر الثقلين قال يخاطب ناقبه في حجة حجتها :

أقول لها وقد أوحى بعين إليّ تشكي الدنف السقيم -
يكورك أشعر الثقلين طراً وأوفى الناس في حسب صميم

واما اختراعه : فقد عدّه صاحب العمدة أكثر الشعراء المولدين اختراعاً فقال : أكثر المولدين معاني وتوليداً فيما ذكره العلماء ابوتمام ، وقال في موضع آخر : أكثر المولدين اختراعاً وتوليداً فيما يقول الخدّاق ابوتمام وابن الرومي ، وكان ابن الرومي يقول : ابوتمام يطلب المعنى ولا يبالي باللفظ حتى لو تم له المعنى بلفظة نبطية لاقى بها ، وسئل المجتري عن نفسه وعن أبي تمام فقال : كانت اغوص على المعاني وانا أقوم بعمود الشعر .

وقال الآمدي : وجدت أهل البصرة من أصحاب المجتري ومن يقدم مطبوع الشعر دون متكافئه لا يدفعون اباتمام عن لطيف المعاني ودقيقها والإبداع والإغراب والاستنباط لها ، وان اهتمامه بمعانيه أكثر من اهتمامه بتقويم الفاظه على كثرة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة وانه اذا لاح له معنى اخوجه باي لفظ استوى من ضعيف او قوي .

وقال صاحب الاغانى : ابوتمام لطيف الفطنة دقيق المعاني ، غواص على ما يستعجب منها ويعسر متناوله على غيره .

وقال صاحب المثل السائر : قد قيل ان اباتمام أكثر الشعراء المتأخرين ابتداءً للمعاني وقد عدّت معانيه المبتدعة فوجدت ما يزيد على عشرين معني فمن ذلك قوله :

يا أيها الملك النائي . برؤيته وجوده لمراعي جوده كنب
 ليس الحجاب بمقص عنك لي أملاً إن السماء ترجى حين تحتجب
 وقوله : رأينا الجود فيك وما عرضنا لسجل منه بعد ولا ذنوب
 ولكن دارة القمر استتمت فدللنا على مطار قريب ^(١)
 وقوله : وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حبود
 لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود
 وقوله : لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس
 فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنهراس
 وقوله : لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للسكان العالي
 وقوله في الشيب :

شعلة في المنارق استودعني في صميم الفؤاد شكلاً صمياً
 يستثير العموم ما أكن من صعداً وهي تستثير العموم
 قال ابن الأثير : فالبيت الثاني من المعاني الخترعة وقد نفقه فيه فجعله مسألة من
 مسائل الدور وهذا من إغراب أبي تمام المعروف وهذا التقدير كاف من جملة معانيه
 فانا لم نستقصها هنا . من تحقيق دكتور عبد الرحمن
 وذكر صاحب العمدة من معانيه الخترعة قوله :

بني مانك قد نهبت خامل الثرى قبوركم مستشرفات المعالم
 غوامض قيد الكف من متناول وفيها عللاً لا يرنق بالسلام
 وقوله : يأبى على التصريد الا نائلاً ان لم يكن محضاً قراحاً يندق
 نزرأ كما استكرهت عائر نفحة من فأرة المسك التي لم تفتق

كان أبو تمام مع غزارة علمه وثقله بنفسه وقوة اختراعه نسيج وحده سيفه جزالة
 الالفاظ وشدة أسر الشعر وحسن الدباجة وكرمه يؤثر الصنعة كثيراً وهو صاحب
 (١) أقل بعد هذين البيتين يبين لم نستحسن نقلهما .

مذهب في البديع عرف به وان كان غيره سبقه اليه وقال القليل منه ولكن ابا تمام التزمه في كل شعره وجعله ركن الشعر وعموده ومن أجله حجر على نفسه واسعا وألزمها مالا يلزم .

ومن عجيب واحة بالصفة انه اقام شطر بيت فيه طباق حسن مقام النسب ، قال الفتح غلام ابي تمام ، سألت مولاى ابا تمام عن نسب دعبل فقال هو دعبل بن علي الذي يقول .

« ضحك المشيب برأسه فبكى »

يحاول ابو تمام ان يطبق مذهبه في البديع على كل بيت من شعره بل على كل كلمة وفي ذلك من الاخذ بالشدة مالا مزيد عليه ، سمعه اسحق الموصلي ياشد شعراً له فقال له : « يا هذا لقد شقت على نفسك ان الشعر لا قرب مما تظن » .

وما عجب لشيء كعجبي لهذا الرجل كيف تمكن من الاجادة مع هذا الاسنقاء في البديع فهو كمن يريد ان يثني هراً من رجل النمل او ينقش صورة الاقاليم على فص خاتم .

واعجب من ذلك ان هذه العناية بالنظم لم تصرفه عن العناية بالمعنى فقد كان يفوس على المستصعب منه كما هو شأنه في شعره ، بلغ ابو تمام ذروة الشعر ولكن سلك اليها طريقاً وعراً صعب المسالك ما سلكه احد من الشعراء بعده وبلغ مبلغه ، ولقد احسن المتنبي لما أعجزه هذا الطريق فنقول عنه الى غيره فأنى بما ملأ الدنيا وشغل الناس .

ولو لم يكن البحتري سيد المطبوعين على قول الشعر لما حدثته نفسه بتحدي ابي تمام على انه وان مال الى الصنعة في شعره فالطبع فيه أبين وأظهر .

نعم انا لا أنكر ان ابا تمام صاحب مذهب في الشعر ولكن مذهبه على احكامه شاق ، يعجز أتباعه عن اتباع قواعده واحكامه كما سئلت ، فصاحبه اشبه بناسك غلا في الزهد والتقشف والاخذ بالعزائم فأكبره مر بدهه ولكنهم عجزوا عن مجاراته فانصرف عنه بعضهم واكثر من بقي حوله كان زهده رياء ونفاقاً وكذلك حال الشعراء بعد ابي تمام .

فلا عجب اذا تعب ابو تمام في شعره ووجد شدة في قرصه — ومذهبه في اللفظ وغوصه على المعنى كما علمت — فقد روي عنه انه كان فيه ابطاء بقول الشعر ، وقال صاحب العمدة : كان ابو تمام يكره نفسه على العمل حتى يظهر ذلك في شعره ، وحكى بعض اصحاب ابي تمام قال استأذنت عليه فدخلت في بيت مصبرج قد غسل بالماء فوجدته يتقلب يمينا وشمالا ، فقلت لقد بلغ بك اخر مبلغا شديدا ، قال لا ولكن غيره ومكث كذلك ساعة ثم قام كأنما أخلق من عقم فقال الآن أردت ثم استند وكتب شيئا لا أعرفه ، ثم قال أندرى ما كنت فيه منذ الآن قلت كلا قال قول ابي نواس :
« كلدهر فيه شراسة وليان »

أردت معناه فشمس عليّ حتى أمكن الله منه فصنعت :

شربت بل لنت بل فأنيت ذلك بطلا فأنيت لا شك فيك السهل والجبل
قال صاحب العمدة : ونعمري لمسكت هذا الحياكي لم هذا البيت بما كان داخل البيت لان الحكمة فيه ظاهرة والعمل يتبين .

ولابي تمام فصل في فرض الشعر ينم على شدة ادتهامه ومبلغ انبوقه ، قال الجعفي : كنت في حديثي اروم الشعر وكنت ارجع فيه الى طبع ولم أكن افق على تسهيل مأخذه ووجوه افتضائه حتى قصدت ابا تمام فأنقطعت فيه اليه واتكلت في تعريفه عليه ، فكان اول ما قال لي : يا ابا عباد ! تخير الاوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة في الاوقات ان يقصد الانسان التأليف شيء او حفظه في وقت السحر وذلك ان النفس قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم ، فان اردت التسبب فاجعل اللفظ رفيقا والمعنى رشيقا وأكثر فيه من هان الصباية وتوجع الكتابة وقلق الاشواق ولوعة العراق ، واذا اخذت في مدح سيد ذي اياد فاشهر مناقبه وأظهر مناسبه وأبن معامله وشرّف مقامه ، والمقاصد الماني واحذر الجهول منها وإليك ان تسين شعرك بالانفاذ الزرية ، وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجسام واذا عارضك النجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وأنت فارغ القلب ، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة تم العين ، وجهلة الحال ان تعتبر

شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسنته العلاء فاقصده وما تركوه فاجنبه ترشد ان شاء الله تعالى .

زعم صاحب الاغانى ان ابا تمام شاعر مطبوع ولعل لديه دليلاً على ذلك لم نهتمد اليه ، فابو تمام على ما نعلم لا يجوز ان يعد مع المطبوعين كجويرى وابي نواس واشيبع السلمي والبحتري وهبه مطبوعاً فان الحدود التي اخذ بها نفسه كفيلاً بتعطيل قوة الطبع واخفاء أثره ، فان ذاك استعرضت شعره لم تجد اثر الطبع شائعاً فيه بل وجدت عناء الصانع المستقصي الذي يجهد نفسه كثيراً لينال غاية الاحسان . ولعل صاحب الاغانى يعني بالطبع المقدرة على اعادة الشعر سواء انكف الشاعر ام لم يتكف .

كانت روايته الواسعة لأشعار العرب تحمله على إظهار الجزالة في اللفظ ، وكانت ثقته بنفسه تخوله الامعان في فنون اليدبع والتوسع في الاستعارة على غير مناهج العرب حتى قيل ان شعره استعارة وبديع ، قال صاحب الوساطة :

« كانت الشراء تجري على أشج من الاستعارة قريب من الافتصاد حتى استرسل فيه ابو تمام ومال الى الرخصة فاخرجه الى التعادي وتبعه اكثر المحذنين بعده فوقفوا عند مراتبهم من الاحسان والاساءة والتقصير والاصابة » .

قالوا ومن ردي الاستعارة قوله :

« حتى انقته بكيمياء السؤدد »

وقوله : كوا الصبر مرّاً واشربوه فانكم اثرتم بعير الظلم والظلم بارك
نحن لاندرأ هذا وكثيراً مثله عن بي تمام كما اننا نعترف بان له من الجيد ما لا يتعاق به غيره ، ولكننا نرى ان المركب الصعب الذي ركبته كثيراً ما مال به الى التعقيد والتوعير والغموض والخروج عن المألوف فلقد سمع اعرابي قصيدته التي أولها :
« طلل الجميع لقد عفوت حميدا »

فقال ان في هذه القصيدة اشياء افهمها واشياء لا افهمها فلما ان يكون قائلها
أشعر الناس واما أن يكون جميع الناس أشعر منه .

لا جدال في ان ابا تمام كان يؤثر الصنعة اللفظية وهو الفائز :

« يروك بيت الشعر حين يصراع »

ولكن الذي جعله يغوبها هو روح العصر السائدة إذ ذاك ، فقد كان الشعراء يتهافون على الصنعة ولا توانيهم كما تواني أبا تمام ، جاء دَعْبِلُ الشاعر الى الحسن بن وهب بعد موت أبي تمام فقال له رجل في المجلس انت الذي نطعن على من يقول :
 وانجذتم من بعد إتهام داركم فيا دمع انجذني على ساكني نجد
 فصاح دعبِلُ أحسن والله وجعل يردد (فيا دمع انجذني على ساكني نجد) ثم قال : رحمه الله لو كان ترك لي شيئاً من شعره لقلت انه اشعر الناس . ودعبِلُ هذا كان بشاب أبا تمام ويقول انه سروق للشعر ، فانظر ما فعل به الجناس وكيف استلَّ سخيمته واطلق لسانه بترديده ، ولو قال أبو تمام « فيا دمع ساعدني على ساكني نجد » أنظر دعبِلًا يصيح بغير اشتيمة ؟

* * *

واحسن شعر أبي تمام ما كان في الرثاء وله في المديح آيات ، سئل المجتري عنه فقال : مداحة نواحة . ومن مرثية قوله يوتي ابنين صغيرين لعبد الله بن طاهر :
 نجن شاء الله ان لا يطلعا الا ارتداد الطرف حتى يأفلا
 ان انجبعة بالرياض نواضرا لا أجل منها بالرياض ذوابلا
 هني على تلك الشواهد فيها لو سهرت حتى تكون شمابلا
 لغدا سكونها حجي وصباهما حل وتلك الارباحية نابللا
 ان الهلال اذا رأيت نموّه أيقنت ان سيكون بدرًا كاملا
 وقصائده في هذا الباب مشهورة منها التي أولها :
 اصم بك الناعي وان كان أصمعا واصبح مغنى الجود بعدك بلقما
 والتي مطلعها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر فليس لعين لم ينض مأثما عذر
 وقال في الخ له قد حضر وفاته :

لله وقتله والموت بكسرهما كأن اجفانه سكرى من الوسن
 يرد أنفاسه كرهاً وتعطفها بد المنية عطف الريح لغصن
 باهول ما ابصرت عيني وما سمعت أذني فلا ابصرت عيني ولا اذني

لم يبق من بدني جزء علمت به إلا وقد حله جزء من الحزن
 فأتت تحس في رثائه نفساً تسيل أسى وتجمد تنفج ، ولقد يرثي من لا تعطمه
 عليه عواطف الحسان فيبكىك ويشجيك كلشكى حين أندب وحيداً ، فتسأل
 نفسك أكان أبو تمام صادقاً في كل مرثية وهل حزن حقيقة على كل من رثاه ؟
 وأنا أجيئك كلاً فربما رثى من كانت حياته وموته عنده سيان ، ولكن أبا تمام من
 أولئك الناس الذين صحب الحزن نفوسهم وأشرب قلوبهم فقد كان يتخذ من موت الميت
 سبباً ليعرب عن أحزان نفسه ، وينث بعض ما يعتلج في صدره من البث ، ويصور
 منظر آسن كآبته — لا على الميت فإن ذلك كائن قبل موته — وقد يلتوي فهم ذلك
 الألى من بلاه أو ابني به . وإية نفس شعر بالشجى أكثر من نفس ابني تمام وهو
 القائل وقد سمع مغنية تغني بالفارسية :

ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدي فلم أجهر شجائها

وأما مديحه فليس ذلك المبتذل المعاد الذي اعتاد أكثر الشعراء ترديده فإن له
 في هذا الباب معاني طريفة نادرة كقوله :

فلو عورت نفسك لم ترددا على ما فيك من كرم الطباع

وقوله : هو البز من أي التواحي أنتم ~~هذه هيته المعروف~~ والجود ساحله

تعود بسط الكف حتى لو أنه ثنابها لقبض لم تطعه أنامله

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتنق الله سائله

وقوله : لو أنا اجماعنا في وصف سؤدده في الدين لم يختلف في الأمة اثنين

ولم يقصر في الأدب والحكمة فكثير من شعره جرى مجرى الامثال كقوله :

أولى البرية حقاً البتراعه عند السرور الذي آسك في الحزن

ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا من كن بالهم في المنزل الخشن

وقوله : وطول مقام المرء في الحي خلق لم يباحثيه فاعترب لنجدد

فاني رأيت الشمس زبدت محبة الى الناس ان ايسر عليهم سرمد

وقوله : يال الفتي من عيشه وهو جاهل ويكدي الفتي في دهره وهو عالم

لو كانت الأرزاق تجري على الحبي لو كان اذن من جهل البهايم

ومثل ذلك كثير في شعره لا محل لاستقصائه هنا .

أما غزله فهو العجب ما في شعره وهو في نظرنا يقسم الى قسمين : قسم صدر به قصائده وجعله توطئة لاغراضه كالمدح والفخر والوصف على طريقة العرب وهو غزل مصنوع متكف وعمر الألفاظ لا تنبش له النفس ، وقدم لم يجعله توطئة لشيء بل هو غزل خالص ، ولم يرسل نفسه على سجيته في كل شعره كما أرسلها في هذا القسم فلا تكاد تجد به اثرًا لجزالة والمتانة بل هو سهل أين ولكنه والحق يقال لا يلتئم باجزاء النفس كقوله :

| | |
|-----------------|-----------------|
| زفراتٌ مقلقاتٌ | أسعدتها العبرات |
| وعويل من غليل | أضرمته الحسرات |
| ونحيبٌ ووجيبٌ | ودموع مسيلات |
| وتباريح اشتياقٍ | وهومٌ طارقات |
| وفؤادٌ مستهامٌ | جنته الوجنات |
| وفتور من فتورٍ | أورثته اللحظات |
| وحبيب صدِّ لما | كثرت فيه الوشاة |

وهو إذا أراد أن يستعطف حبيبته أو يستلين قلبه أو يناديه لم يجد وسيلة غير

الأنبياء فقد قال :

| | |
|--------------------------------------|---------------------------|
| يا سميَّ الذي تبهل يدعو | ربه مخلصاً له في قل أوجي |
| ومكنى ثلوق نفسي إليه | بالرسول الكريم بعد المسيح |
| أفصح اليوم ناظراً مستهام | نطقاً عن ضمير قلب قريح |
| وقال : يا سميَّ النبي في سورة الجن | ويا ثاني العزيز بصير |
| وقال أيضاً : يا سميَّ النبي حين يسمى | والتي خص بالجمال وعمما |

وإذا ترفع عن مثل هذا السفساف قال :

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| قسمت لي وفاسمائي بسلطان | ن من السحر مقلتنا عبداً وس |
| فالتسم القسام عن لحظات | منها يخلصن حب النفوس |
| فالذي فاسمت محظ إذا الليل | تمطى من الكرى النفوس |

قال علي بن عبد العزيز الجرجاني : « ولست أدري يشهد الله كيف تصور له
ان يغزل وينسب وأي حبيب يستعطف بالملسفة وكيف يتسع قلب عبدوس هذا
وهو غلام غر وحدث مترف لاستخراج العويس واظهار المعنى » .
فاين ذاك الخط الذي تراه في قصيدته التي أولها :

« السيف اصدق انباء من الكتب »

من هذه الخفاقة لدانة على ان اتمام لم يعشق ولم يعرف الحب والذي قاله من الغزل
لم يكن الباعث عليه الا قليل من الخجون الجاف كقوله :

خمشني بكفها وأشارت بطرفها
فتأملت وجهها والتفتني بكفها

ليت نصفي على الفرا — ش لحاف لتصفها
فأنا الذي أرى — على رغم انفها

وفي الاغاني قصة مجنونة وقعت بين أبي نزام وبين الحسن بن وهب قال بها ابو
تمام قصيدة اولها :

اباعني لصرف الدهر والغير وللخوادم والايام والعبر

وشعره في الوصف والفخر والحجاء خير من شعره في الغزل .

ومن الكتب الموزنة في شعر أبي تمام وخياره : كتاب الموازنة للآمدي وكتاب
الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه ابا تمام له ايضا ، وكتاب تفسير شعر أبي تمام لحمد بن
احمد الازهري المتوفى سنة ٣٧٠ ، وكتاب اخبار أبي تمام والختار من شعره لعلي بن
محمد الشمشاطي من ادباء القرن الرابع ، وكتاب شرح شعر أبي تمام لأبي الريحان البيروني
لم يمت . ذكر ذلك ياقوت الرومي في معجم الأدباء عند ترجمة كل من أصحاب هذه
الكتب ، ولم يطبع منها غير كتاب الموازنة . ولأبي العلاء المعري كتاب سماه ذكرى
حبيب شرح به ديوان أبي تمام ، ولأبي بكر الصولي كتاب في اخبار أبي تمام .

« للبحث صلة » :
فلمين مردم بك

بين التاريخ والادب

الحضارة العباسية واثرها في لغة العرب

الحضارة في الاصل سكنى الحضرك كما أن البداوة سكنى البادية ، والغرض منها هنا حالة الأمة الاجتماعية ورفقها واخذها من المدينة بنصيب .

مقدمة

امتد الفتح العربي منذ عهد الخلفاء الراشدين ومكن الله للعرب في الارض ما لم يكن لغيرهم ، وسطعت شمسها في البلاد التي شاء الله ان تشرق فيها ، ولكن القوم شغلهم اذ ذلك ما هم فيه عن الانغماس في ذلك الترف والنعيم والايغال في تلك المدنية والحضارة ولم يجنوا لانفسهم فيها الا ما لا يعوقهم عن نشر دعوتهم وجهادهم من يصدهم عن سبيلها . فقد كان القوم يتفنون فيما تاهم الله الدار الآخرة ولا ينسون نصيبهم من الدنيا .

ثم افلنى آثارهم في ذلك بنو أمية وهم السادة الفُر من بني عبد شمس ، فما كاد عصرهم ينقضي حتى كانت العرب قد فتحت اكثر المعروف من الدنيا القديمة فامتد منكمهم من الهند والصين شرقاً الى جبال البرانس فنهر الرون غرباً ، وانبسط سلطانهم على تلك الشعوب ، لارغبة في الاستعمار والاستعباد ولكن حباً في نشر دين يعتقدون حقيقته وتعلقاً بمبادئ الاسلام التي رفعت لاروبا الحديثة بمجدها الخلقى ، وتغلبت لغتهم على ما كان لهم من السنة لانها اللغة الراقية للأمة الغالبة العادلة فعُني بها اهل تلك البلاد تقريباً من الفاتح واستدراراً لاختلاف الرزق وثقفاً في الدين والتماساً لطلب العلم والأدب .

وكان دأب بني أمية في ذلك الحرص على أخلاقهم العربية وعاداتهم القومية — شأن الفاتح الظافر — فكانوا شديدي التمسك بلغة العرب وآدابها وجعلوا حاضرتهم مدينة دمشق على حدود البادية العربية وكان ولائها وجنودها وقوادها وكاتبها وسائر عمالها من العرب الا من مست الحاجة اليه لميزة فيه ينبغي الانفتاح بها ، فلم تؤثر الحضارة

الأجنبية أيام خلافتهم في اللغة العربية وآدابها إلا ما انقضاء الملك وسعة العمران وما الدأب مع الاخلاق العربية وانقضته مرافق حياتهم المتصلة بالحضارة اتصالاً لا يضيع معه الطابع العربي ، فضلت الدولة وبلادها ولغتها وآدابها عربي الصبغة في كل شيء .

وما كاد القرن الاول ينهي حتى كانت الليالي من الزمان مثقلات بما كانت الامة العربية في استعداد له وتاهب لقبوله من تغير الحال ومجاراة الزمان ، فكانت امارات ذلك تبدو شيئاً فشيئاً حتى اذا أقبل العقد الرابع من القرن الثاني كشفت الايام عن انقضاء عصر بني أمية وتغلب بني العباس فكان ذلك مبدءاً حياة جديدة للغة العربية وفنونها ، وهذا ما نريد الكلام فيه .

قيام الدولة العباسية

قامت الدولة العباسية على انقراض الدولة الأموية وبرز هلاهم في سماء المملكة العربية على حين كانت ألويتهم خفاة على كثير من البلاد والشعوب ومنكمهم واسع الرفعة مبسوط الأرجاء ، تحيي اليهم ثمرات كل شيء فكانوا أولي قوة وأولي بأس شديد تهابهم الأمم وتحطب ودهم الممالك . والعرب مبشرون في الارض ولغتهم معهم فورثوا نعيماً ومنكاً كبيراً ، وقد استراحوا من النتح فجنوا شهد الراحة آمنين وتمتعوا بثمرات النتح وادعين .

الاحوال المعاشية واجهة الدولة والترف

ولم يفرط سلف العباسيين زمن البذر فقرت أعينهم حين الجنى وأن لهم ان يقطفوا هذه الثمار اليانعة الدانية القطاف ، وان يرفلوا في حلق هذه النعمة الضافية النديول السابعة الاعطاف فجنحوا الى الدعة وأعلقوا لانفسهم العنان في التمتع بما حل لهم من زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، وجاروا الامم التي اخلطوا بها وظهروا أمامهم مظهراً يليق بهم وينظية زمانهم ولا سيما الفرس عضد الدولة العباسية ونصيرها ومن لهم الدالة عليها وهم أمة قديمة الحضارة راسخة القدم في المدنية فامقلت العرب من المعيشة البدوية الى الحياة الحضريية وكانت على أتمها في قطر العراق موطن الجعد

العربي ، ولا سيما بعد ان بنى المنصور مدينة بغداد وجعلها حاضرة ملكه فكانت صلة بين العرب والفرس ومعبراً بين البداوة والحضارة ، وان الانسان ليكبر بلوغ النعيم من أهلها بما كانت من توفر ارباب الغايات عندهم والعارفين بالفنون التي لا تقتصر الحاجة منها على ضرورة العمران وانما اتوسع المنفعة منها الى مطالب الترف الذي يقع في الامم عند استفحال منكمهم فصارت بغداد بهضة الملك ومعدن الطرائف وزينة العالم بما كان لأهلها من اتساع الحضارة وما كان يرى في مبانيها من الاشراق الذي نزه ان يكون له مثيل في احسن المشرق والجمال المونق فتبسط أهلها في النعيم واسترسلوا في الرخاء وبنوا القصور المشيدة مد البصر وجلاء النظر ، وان شئت ان احدثك عن تلك القصور فدونك شعرهم تراها موصوفة فيه بلطف دقيق ومعنى رشيق يجعلها تحت بصرك وقد كنتها الخدائق الغناء والرياض الفيحاء تجوس المياه خلالها وتجري حولها مدبرة في الاحواض وتسرح في اكنافها الطيور الداجنة وانواع الحيوان الالفة من جميل الريش ورخيم الصوت ، هذه نعيم اسبغت الحضارة عليهم ظنرت جليلة في شعرهم وغنائهم وفنونهم الجميلة .

وكذلك قد انعموا بما تلى وطاب من انواع المطاعم ورقوا في البديع من حل الالبس فلبسوا الخز والحرير واستبدلوا بالعباءة الغلائل والمطارف ، وبالمضارب التي فرشها الزمائل فاعات فرشها البسط والطنافس وعلى جدرانها الستائر من الحرير بمسامير الفضة على طراز الذهب . وباروا من عاصروهم من الفرس في وسائل اللهو المباح وجاروا سنة الارتقاء ناصدين القصد لا مفرطين ولا مفرطين فاخذوا انفسهم بالحزم في كل ذلك فجمعوا بين الدين والدنيا .

ولقد توفرت امام اعينهم المناظر الحسنة والمرايا البديعة مما لم يكن لهم به عهد من قبل فانتع مجال الشعر عندهم بما كانت تثيره مناظر الجمال في نفوس شعرائهم . وكانوا يعنون بعرض الزهور وتزيينها وكانوا يجلبون الرياحين الى حدائقهم من بلاد الهند وغيرها حتى قيل انه كان في بغداد للامراء من البنات ما يقوم ثمن الواحد منها باكثر من عشرة آلاف دينار !

واما لو انصفناهم لقلنا انهم كانوا ينشئون منزهات عامة تلبأ اليها اولادهم وترتع

فيها صبيانهم بعد الفراغ من الكد والدرس وفي بعض هذه المتنزهات يقول شاعرهم وقد صبا اليها وعظنته الذكري عليها :

سقى الله باب الكرخ من منزله الى قصر وضاح فبركة زلزل

هذا هو شأن الترف عند عظماء الدولة وخواص الأمة ثم يأخذ في النقصان عند من هم دونهم في الجاه الى ان يبقى منه نصيب للعامة الذين راجت بينهم الصناعات وتوسعوا في التماس الحاجات لضرورة العمران .

من ذلك نرى ان مرافق الحياة عندهم اتسعت وان مقاصدها تعددت ، وان الواهبها تبدلت واشكلها تغيرت فكان لذلك كله تأثير بين في اللغة وآدابها فصبغت صبغة جديدة وبرزت تحتال في ثوب قشيب من الجدة وحسن الرواق وزاد ذلك الاثر حسناً اسباب أخرى منها :

حدة اللغة واستنباطها في العصر العباسي

اولاً — امتزاج العرب بالفرس واختلاطهم بغير العناصر العربية اختلاطاً شديداً اثر في احوالهم الاجتماعية وامورهم الحيوية من الاخلاق والعاتات والافكار والخيال وسائر الشؤون مع تمكن الفرس من الدولة وانسلاط ايديهم في امور الخلافة ونفوذ كلمتهم في شؤونها فكان ذلك عاملاً على انتفاع اللغة العربية باهل هذا اللسان فكراً وخيالاً وحسناً وفراغة ودخل في اللغة العربية ما وسعته من اساليب تلك اللغات التي لا نلبو عن الذوق العربي كثيراً .

ثانياً — رقي احوال الاممة الاجتماعية ولا يعزب عن البال ان الاحوال الاجتماعية للام هي الاساس الذي تشاد فوقه لغاتها فان كانت احوال الاجتماعية في امة راقية جامعة لاسباب الحضارة قائمة بحاجات الحياة من انتشار دين وعلم واستلباب طينة امن ، وسولة مرافق حياة ، وموارد رزق ، وحسن نظام ، وما يتبع ذلك من ترتيب الحكومات وتبدير الزراعات ووفرة الصناعات ونماء الثروة وتمكن مكارم الاخلاق — اذا تم كل ذلك في الاممة رقيت لغتها وشرف لسانها وعذبت معانيها وغررت مادتها وتشعبت الفنون ونبغ فيها الفحول من امراء الكلام نثراً ونظماً والذليعون في سائر فنون العلم

معقولة ومنقولة ، كذلك كانت الدولة العباسية اذ العهد قريب بالنوبة وصدر الخلافة والدين غرض الشباب والقرآن محفوظ في الصدور مفهوم في العقول معمول بحكمه واحكامه وهو المرجع في امور الدين والدنيا فكانت قوانينهم شرعية ومدنية وجنائية متفرعة منه مسترشدة بالاحاديث النبوية وكانت العقول حرة والافهام مطابقة وباب الاجتهاد مفتوحا والعلم شعاع الملوك ومطمح انظار السادة والعطاء فالنصور والمهدي والرشيد والمأمون وهم صدور خلفاء الدولة علماء محققون وأئمة مجتهدون من طبقة الامام ابي حنيفة ومالك واطراهما واذا كان هذا شأن الخلفاء والعطاء والخاصة في الدين والعلم واللغة والادب فما ظنك بمن دونهن من الرعية ؟ لا ريب انهم كانوا على دين ملوكهم . وارادة الملك شريعة المملكة ولا يزعم العلم ويثمر الادب لا في ظل امير يتعاهده ويشد ازراعه ، فالدولة التي يكون ملوكها وامراءها كذلك يجدر بها ان تزعم بالعلم والعلماء ولتتبع عجباً بالادب والادباء ولهذا وجد يومئذ كثير من الاخصائيين في كل فن جميل .

ثالثاً — الاستعداد الفطري العظيم للهذه الامة لحيدة وقد زادت تلك الحضارة واطهرته في تمامه وساعد على ذلك سعة اللغة وقبولها لكل جديد لكثرة عوامل البناء فيها والتنوع اشتقاقها وتفرع اصولها وكثرة طرق التعبير عن المقصود فيها ولهذا سهل على الناطقين بها الافئدة في ضروب المنطق من منشور ومنظوم — حتى ان الكاتب يستطيع ان يملأ صفحات عدة في معنى واحد محصور — وتميزتها بالخصنات البديعة والحلى اللفظية والمعنوية وتصرفوا في ذلك تصرفاً يشهد بلغة برحب الصدر ولاهلها بحسن الدوق .

رابعاً — تدوين الفنون واشتغالهم بالتأليف وترجمة الكتب الاجنبية الى اللغة العربية والاطلاع على آثار الاقدمين من فلاسفة اليونان وغيرهم فكانت اثرأ صاحباً اقتبسوا منه افكاراً حكيمية عجيبة وآراء سديدة غريبة ومعاني رقيقة بديعة صيغت لها مبان رقيقة لطيفة ، استخدموا كل ذلك في كلامهم واودعوه عباراتهم وافلتنوا في هذه المعاني اكتسبة افئناناً غريباً ، وتلاعبوا بها ما شاء لهم الخيال وقوة القرينة فأتسع بذلك نطاق الفكر ونمت دارة المعارف وعظمت قوة الخيال والابتداع .

آثار الحضارة العباسية في اللغة

ولقد كان تأثير هذه الحضارة — التي سبق ذكرها — بديًا في اللغة ، فنناول :
اغراضها ومعانيها والفاظها واساليبها نثرها ونظمها .

اما اغراض اللغة فلم تكن تتناول قبل ذلك سوى ما يتعلق «بالدين ومعيشة الجد القليلة الترف» وماله ارتباط بالحياة ذات الغضاضة والبداوة لاستقلالها بالآداب العربية وما يدعو اليها ويتعلق منها بسبب ، فلما قامت الدولة العباسية ووجدت تلك الحضارة الحديثة ونشبه الخلفاء والامراء والولاة والرؤساء بملوك الفرس وعظماهم في اكثر امور السياسة والمعيشة وحاكتهم العامة في ذلك بمحاكاة امثالهم من الاعاجم وامتزجت المدنية السامية العربية بالمدنية الآرية الفارسية تمام الامتزاج تناولت اللغة اغراضا كثيرة لم تعهد فيها من قبل بنقل علوم الامم المغلوبة وآدابها وعاداتها وطرق معيشتها وبدوين العلوم الشرعية والمسانية والعقلية وبالترجمة من لغات الاجنبية الى اللغة العربية وبتأدية المقاصد الحضارية التي استند بها الانغماس في الترف وتطلبها الحضارة واستوجبتها الاحوال الاجتماعية فتمت اغراض اللغة وفسحت دائرتها واصبحت تتناول كل موضوع فلا يعوزها القول في اي غرض ولا عز عليهم التعبير عن اي معنى فاصبحت لذلك لغة ملك وسياسة وعلم ودين وادب وحضارة واجتماع .

واما المعاني والافكار فقد كان لهذه الحضارة تأثير قوي ونتيجة ظاهرة في الحركة الفكرية للامة العربية والناطقين بلغتها ولا غرو فان الانقلابات الاجتماعية والثورات الفكرية تتناول من الامم رؤسها ومن الشعوب عقولها .

ولقد ظهر ذلك في نثرهم ونظمهم بحور شتى فشاعت المعاني الدقيقة والتصورات الجميلة والاختلاعة البديعة وكثر ذلك عما كان عليه من قبل ولا سيما بعد ترجمة الكتب الاجنبية ودراسة العرب علوم الحكمة والفلسفة وغذية عقولهم بمعانيها .

اما الالفاظ فقد نمت بما تجدد فيها من وضم كلمات عربية جديدة بطريق المجاز والاشتقاق والقياس لاصطلاحات العلوم والفنون والصناعات وبعض اسميات حديثة ثم بما اقتبسها العرب من الالفاظ الانجمية وخصوصًا من اللغة الفارسية لاجتماعهم

اليها ولا سيما في الاسماء الآتية والوان الاصمعة وانواعها ونحو ذلك مما لم يكن لدى العرب فاستعاضوا عنه بالفاظ اهلهم بعد ان عربوها وصقلوها وجعلوها ملائمة لذوق العربي غير نابعة عنه غير جامدين في ذلك ولا متبجحين عن امداد لغتهم بما يزيد ثروة ولكنهم اقتصروا فيه واقتصدوا منه على مادعت اليه الضرورة حتى اضطروا ان يضعوا له بعدئذ معاجم خاصة بها تضبطها وتبين مأخذها واصحابها حتى لا تلتبس بالعربية الاصلية .

دخول بعض الاساليب المكتسبة وكثرة المترادف

ولما كانت الحضارة التي لا النعيم والترف ولا ترضى الا بالحسن الجميل في كل شيء عُنيت العرب في هذا العصر بانتقاء الالفاظ الرشيدة السهلة واشار الكلمات العذبة المثلثة للمعنى تام التمثيل وهجر الالفاظ الغريبة الحوشية واما الاساليب فقد تنوعت وانتسبت العربية لها بعض اساليب الامم الاخرى مع الحرص على الذوق العربي واقتدوا في اساليب الكلام وتصرفوا في طرقة ثم توسعوا في التشبيه واوغلوا في المجاز والكناية الدقيقة وحووا القول بما راق لهم من محسنات وربما صور المعنى الواحد بعبارات طويلة وجمل مترادفة تاكيدا لهوافئنانا فيه واطهارا لصفة اللغة وثروتها . ذلك شيء من الآثار الحسنة التي خلعت تلك الحضارة على اللغة حللها فبرزت في اجمل حلية وابهى زينة . وانا تقدمها لارى ان العباسيين لم ينسوا لغتهم في اوج حضارتهم ولم يهملوا الاخذ بيدها فرفعوها المرتبة التي وصلوا اليها وبذلك فربوا احسن الامثال .

منشأ العامية واسباب انتشارها ووسائل حدها

وكن هناك اثر غير حميد كان نتيجة لازمة لهذه الحضارة واثرا لا بد منه بعد هذا الاختلاط فما كادت الامة العربية تمتاز بغيرها من الامم حتى فشا الفساد في لغة ابناء جاليتها والناشئين في غير باديتها لنقص ملكة البلاغة فيهم واضطراب ترتيبها بمزاجمة ماكانت اللغات الاعجمية لها . فكثر التحريف والتحن وسرت عدواه الى البادية بعد ان كان مقصورا على الحضارة وبقي داء العجمة يستعمل بين العامة والصناع ونظرائهم ممن لا يترفعون عن معابة العجمة من وضعاء العرب على الرغم من

محاورة الأئمة وأولي الأمر لهذا الوفاء بشدوين عووم المسان وتقييح العامية ومقت
لمتكمين بها حتى نشأ في كل اقليم لغة عامية خاصة به مؤلفة من العربية المحرفة ممزوجة
بشيء من الفاظ لغة الاقليم الوطنية .

ولقد راع الخلفاء والخاصة ذلك الخطب في صدر الدولة فخار بوه بكثير من
الوسائل وقادموه بمحث العلماء على تدوين اللغة وبذل تمام العناية بضبط الفاظها ونشر
عوومها وكفؤوهم بهذر الاموال وأساوا عليهم الذهب النضار وحشدوا في قصورهم أئمة
اللسان وغول اللغة والبلاغة يؤدبون أبناءهم وخاصتهم ويقومون من زليغ السنتمهم
فكانوا امراء الكلام وقائدي زمام الفصاحة كما كانوا امراء الملك وسادة الدولة
ولكن ذلك كله لم يقف تيار العامية الزاخر ولم يحل دون سيدها الجارف ، وما زال
الخطب يستفحل ويعز دواؤه ويستعصي علاجه حتى اتاب اللغة ما اتابها ولم يكند
يقبل النصف الثاني لهذه الدولة حتى كانت العامية لغة التخاطب بين الخاصة والعامية
واتعدت لغة الكتابة عن لغة المحادثة ولم تزل مسافة الخلف اتسع بينهما حتى صار
لكل بلاد نطق بلغة العرب لغة تخاطب عامية خاصة يفهمون بها ، بل انه في
منتصف القرن الرابع حين تغلب بنو بويه اخذ سلطان العرب في الشرق يتراجع
وهبت اللغات الاخرى تسترد حياتها وتطارد العربية من بلادها وهذا هو المنهني من
شعراء القرن الرابع يقول وقد زار بلاد فارس يصف شعب بوان^(١)

مغاني الشعب طيب في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان^(٢)

ولم تزل اللغة العربية تدافع سيل الفارسية ثم التركية الجارف في الشرق حافظه
لنفسها منزلة اللغة الرسمية (لمدن والخلافة) حتى سقطت بغداد في يد النصار فغلبت
اللغة على امرها وخضعت لقانون الطبقة القاهرة فكان ذلك آخر العهد بغلبة سلطانها

(١) وادي من اودية فارس الجميلة . (٢) اي ان العربي الذي كان صاحب
الجاه فيها اصبح غريب الوجه اي الملبس واليد يعني ليس له نفوذ ولا سلطان واللسان
اي لالغة له في هذا البلد .

على المشرق ولكنها خلفت فيه ديناً وشرائع وعلومًا وآدابًا لانتخبها يد الأيام ولا
تزال منها ظروف الحوادث حتى يرث الله الأرض ومن عليها وقد كفل القرآن
الشريف حياة هذه اللغة (وانا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)

ازدادت العامة ازدياداً عظيماً حتى أصبحت ملكة العربية في هذا العصر وما
وليمه تستفاد من التعلم (كما هي الآن) وصارت تؤخذ من بطون الكتب والسنة
القواعد الصامتة بعد ان كانت تلتقى من افواه العرب والسنة لحول البلاغة الناطقة
ومن ذلك العهد لم يستجيز العلماء الاستشهاد بكلام اهل هذا العصر وما بعده على اللغة
افرادية او تركيبية .

هكذا تغيرت الحال وعبت بالغة غير اهلها .

فلا الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت اعرف
والآن وقد انتهى بنا البحث الى هذا الحد نرجو الله سبحانه ان يرفقنا الى الاخذ
بيد اهلنا لنواصل طريق الإصلاح الذي سلك فيه العباسيون .

محمود المنجوري

شبهه - عصر :

مباحث لغوية

ومن اعجب الغرائب ان العرب عرفوا التلپاثية (Télépathie) وسموها :
 المنحة . قال في لسان العرب : قال شمر : ولقول العرب : ان لي لِنحةً تُخبرني عن
 لقاح الناس يقول : نفسي تُخبرني فتصدقني عن نفوس الناس ، ان احببت لم خيراً
 احبوا اليّ خيراً ، وان احببت لم شراً احبوا اليّ شراً . وقال يزيد بن كثر : المعنى
 اني اعرف الى ما يصير اليه لقاح الناس بما ارى من تحتي . يقال عند التأكيّد للبصير
 بخصاص امور الناس وعوامها اه . فكأنّنا نشعور عن بعد لقاحاً فتشعر النفس به وهذا
 الشعور هو المنحة بكسر الاول وهو بديع الاشتقاق صادق الوضع يتبادر معناه الى
 الذهن بدون كد الفكر واجهاد النظر .

وفي بلاد الهند رياح تهب في اوقات معلومة اسمها عند الافرنج (Moussons)
 وهي من العربية موسم فسماها العربون العصريون رياح الموائيم او الرياح الموسمية ،
 واهل العراق يسمونها اليوم : برصات او برصاة بباء موحدة تحتيه ورآء وهاد
 كلها مفتوحات بعدها الف وثاء مبسوطة او مدورة على السواء . وسماها البيروني في
 كتابه عن الهند (برشكال) والعرب الفصحاء عرفوها بالبراسة بكسر الاول
 والبراسر والمذبسرات .

ومن هذه الكلمات العديدة لا ترى واحدة منها في ابسط المعاجم الافرنجية العربية
 او العربية الافرنجية . فمن هذا ترى قصر هذه المؤلفات والحاجة الى وضع دواوين
 وافية بالمطلوب واضحة لكل لفظ ما يقابلها عند لاغراب .

واحسن عبارة تقوم مقام قول الغربيين (Modus vivendi) طريقة للعيش .
 واذا عادت ريش الطائر قيل (Se remplumer) والعرب تقول : اخلف .
 وعند الفرنج نوع من الخبز يسمونه (Croissant) وسماء العرب في العراق في
 عهد العباسيين خُشْكَنانج او خُشْكَنانك .

وعرف العرب (Enfantillage) باسم النودبة (راجع هذه المادة في القاموس
 واللسان والتاج) .

وما يسميه الأطباء (hypertrophie du cœur) ساء الناطقون بانضاد
الاطرياء . قال في التاج في مادة ظري : في نوادر الاعراب : الاطرياء
والاطرياء البطنة او غلب على قلبه الدم فانتفخ لذلك جوفه . نقله ابن سيده .
العقبة (بالضم) . يقال : اكلوا عقبتهم ، ما يعقبونه بعد الطعام من حلوة
(اللسان والتاج) وبالفرنسية (Dessert) .

في المصباح : المنزعة : ما يرجع اليه الرجل من رأيه وامره وبالفرنسية
(Cheval de bataille) (aufig) Marotre .

مجانا السفينة : جانبها . وقال الخطابي : لم اسمع فيه شيئا اعتمده (التاج)
والمشهور ان المجاف هو جانب السفينة القريب من السكان ، لارتفاعه وهو من الخف
وهو المعروف عند الفرنسيين باسم (Tillae) وبالانكليزية (Deck) .
مقطعات الشيء : طرائقه التي يتحلل اليها ويتركب عنها (التاج)
(Parties constituant d'une chose) .

من الجواز : اسعته علما : اذا بلغ في افهامه وتكرير ما يعلمه عليه :
(Faire apprendre une ch. à force de la répéter ; répétailler)

(التاج) وما كنت انصور يوما اني ارى في العربية هذا التعبير العجيب .
الحفي : العالم يتعلم الشيء باستقصاء ومنه في سورة الاعراف : يسألونك كآنك
حفي عنها مستقصيا ، لان من بلغ في السؤال عن الشيء والفحص عنه استحكم علمه به
ولذلك عدّي بعن . والجمع حفوء وهو بالفرنسية (spécialiste) وقد سماه
بعضهم الاختصاصي والاختصاصي وهذه من اخصى تخفيف اخص اي اختصاص
وقلب المضاعف اجوف امر معروف عندهم فقد قلنا نقض في نقض وغم الشيء
غطاه : وغما البيت ارغم البيت : غطاه بالطين والخشب ، واغمت السماء تغمرت
وصارت ذات غمام ، واغمي يومنا : دام غيمه ، واغمي الخبر : استعجم وخفي مثل غم
والامثلة كثيرة لا حاجة الى ايرادها وبهذا القدر كفاية .

بحقق

(١) الحبشية والعربية

اللغة الحبشية هي إحدى اللغات الشرقية المعروفة باللغات السامية وهي قديمة العهد جداً كما ختمها اللغة العربية وأصلها اللغة الحميرية التي لا تزال آثارها في بقايا العاديات في بلاد العرب .

ولها أخوات أخر وهي الآرامية والسريانية والعبرانية . وبين العرب والحبش اتصال منذ القرون الغابرة وعلى هذا الاتصال براهين كثيرة تاريخية وجغرافية اقتصر منها على ذكر قصة وردت في التوراة عن سَافَر (ميكاديا) ملكة سبا في (التين) الى اورشليم لتشهد الملك سليمان ، فميكاديا هذه كانت إحدى ملكات الحبش وكانت مملكة الحبش في عهدها مملكة عظيمة تمتد سلطانها الى بلاد النوبة ومصر ، فسلالة الفراعنة السادسة والثلاثون كلها حبشية ، وبلاد الكونغو وجزء من الهند ومن ساحل العرب الاسيوي فالبحر الاحمر لا يزال يدعى الى اليوم عند الاحباش اريثربا ايشيوبيا اي الخليج الحبشي لامتداده في داخل بلاد الحبشة . وكانت التين اذ ذاك إحدى ممالك تلك السلطنة الواسعة الاطراف وهي معروفة اليوم باسم اليمن وكانت قاعدتها مدينة سبا مشهورة بغناها ووفور الذهب فيها .

وقد نسب ابن سيراف النبي عن محبي ملوك الجوس الى اورشليم لدى ولادة المسيح والجوس هؤلاء كانوا ملوكاً في الحبشة وفارس . فقد جاء في سفره مخاطباً مدينة اورشليم العظمى بقوله : « سوف يأتونك من بلاد سبا حاملين ذهباً » .

اكتفى بهذين الشاهدين عن البينات التاريخية الجملة التي تثبت قدم اتصال الحبش بالعرب . لذلك لا عجب اذا كانت لغتهم اختنا شقيقة للغتنا العربية العريقة في القدم . مر الزمان وكرت الاجيال ولغتنا الشريفة حية يتكلم بها بنوها في الاقطار السورية والحجازية والعربية والمنصرية والمغربية ويقرأها الملايين سواهم من المسلمين في آسيا وافريقيا وأوروبا واميركا لانها لغة القرآن الكريم . اما اخواتها اللغات السامية فقد

(١) من خطاب الفاه الاستاذ السيد عبد الله رعد احد اعضاء المجمع العلمي يوم

قبوله عضواً فيه .

امست في عداد اللغات الميتة . وقد صار بعض هذه اللغات في خبر كان ولم يبق الا آثارها في العاديات كالأرامية ، والبعض الآخر بقي لغة الكتب الطقسية الدينية كالسريانية والعبرانية والحبشية وهي من هذا القبيل اشبه باللاتينية واليونانية اللتين مائتا وبقيت آثارهما في الكتب الدينية . وكما ان اليونانية القديمة ولدت الحديثة واللاتينية خلفت ذرية من البنات وهي الفرنسية والاطالية والاسبانية ، كذلك اللغات السامية الميتة خلفت من بعدها السريانية الحديثة التي يتكلم بها بعض أهل ما بين النهرين وفروع آخر منها يتكلم به بعض قرى جبل القملون في سوريا كمعلولا وعين التينة . وعلى هذا المثال خلفت اللغة الحبشية القديمة من بعدها لغات تكتب ونقرأ بنفس حروف هجاء اللغة الاصلية يتكلم بها اليوم أهل المقاطعات الحبشية وهي اللغات الامحرية والتغرية والمهرية .

فمحور كلامي في هذا الخطاب عن اللغة الحبشية الامحرية ومقابلتها باللغة العربية لانها لسان الحبشي الاصح والأكثر انتشاراً وهو اللغة الرسمية في الحكومة ويتكلم بها اربعة اخماس الحبشة . وهي التي تقرب ايضاً باشتقاقاتها من اللغة الحبشية الاصلية أكثر من أختيها التغرية والمهرية السائرتين اليوم الى الزوال .

قلت آنفاً ان اللغة الحبشية أخت للغة العربية . ولا بدّ للاخوات من التشابه ولو في بعض الوجوه . فما هي وجوه الشبه بين العربية والحبشية حتى يصحّ ان يقال ان هذه أخت لتلك !

هذا ماتوخيت^١ تفصيله في هذا البحث فاقول :

وجوه الشبه كثيرة ولورمت^٢ تعدادها لطال المقال ولكني اجتزيت منه بالقدر الكافي .

أبتدي^٣ بذكر الكثير من الالفاظ المتشابهة في اللغتين . فمن العربية ما هي حبشية الاصل كالتجاشي والمنبر والانجيل والمصحف والطاغوت والرقس والحوار بين وغير ذلك مما افردت^٤ له باباً خاصاً في مجلة الجمع . ومن الكلمات الحبشية ما هي عربية الاصل او يمتد^٥ الحكم القاطع فيها اذا كانت عربية الاصل نقلت الى الحبشية ام العكس وذلك لان اللغتين عربيتان في القدم من ذلك راس وعين واسان وكثير غيرها من

الكلمات التي لها في كلا اللغتين نفس المبنى والمعنى . و (أدج) اي يدو (أكر) (اي رجل) وأفجا (اي انف) وأديس (اي حديث) ومسكوت (اي مشكاة) وكثير غيرها ايضا مما يشبه في اللفظ الكلمات العربية التي تساويه في المعنى وقد نحتت وتطورت كما هو شأن النحت والتطور في الكلمات التي تؤخذ من لغة الى لغة .

اذ كررنا ثانية تشابه القواعد اللغوية بين اللغتين العربية والحبشية مع بعض الشواذات التي سأمر بها :

الحروف العجائية وحركاتها من ضم وفتح وكسر وإشباع لفظ حروف العلة كله موجود في اللغة الحبشية ما خلا الثاء والذال والضاد والطاء والين على ان هذه تحتوي على حروف لفظها غير موجود في اللغة العربية كالثشين وهي غير الشين والتجيم وهي غير الجيم الموجودتين ايضا فيها والكيم وهو في الحبشية حرف مستقل بعكس اللغة العربية التي فيها الجيم حرف يلفظ جيمًا في سورية وكيمًا في مصر ودجيمًا في غير اقاليم . وزد على ذلك في اللغة الحبشية حركة لفظها (o) وحركة لفظها (é) او (ic) في بعض الكلمات وهاتان الحركتان غير موجودتين في لغة العربية . والعربية كسائر اللغات السامية تكتب من اليمين الى الشمال ، اما الحبشية فهي وان كانت سامية تكتب من الشمال الى اليمين كلفات اوربا .

والصرف في اللغة الحبشية فيه كثير من القواعد والاشتقاقات والمزيدات كصرف اللغة العربية . من ذلك الفعل فهو ثلاثي ورباعي في الحبشية ولكن عين فعله على الدوام مشددة في الافعال الصحيحة نحو كدّال (ي قتل) وهو ثلاثي وأبّ (اي قرأ) وهو رباعي . اما مزيدات الفعل في الحبشية فهي نفس المزيدات العشر في الصرف العربي لكنها غير مستعملة كلها . مثال ذلك صحّف (اي كتب) فيها تحوّف (اي كتب او انكتب) وهو مستعمل للبحرول ، تصاحف (اي تكتب) أصحّحف (اي استكتب) وكذلك مشتقات الفعل من مصدر واسم فاعل ومفعول واسم آلة ومكان وزمان فجلة مستعمل في اللغة الحبشية . فيقال : صحّفة (اي كتابة) ومصحف (اي مكتوب او كتاب) وصحافي (اي كاتب) ومصحافيًا (اي مكتبة) وهلم جرا .

وفي الافعال الجبشية ايضاً افعال معتلة وفيها قلبٌ وحذفٌ وإعلالٌ كالأفعال المعتلة العربية . فمن معتلة الفاء مثلاً عندهم فعل آل (اي قال) واصله بالغبين لحذفت الثانية وعوض عنها مدة على الاولى . ومن معتلة العين فعل قوم (اي قام) اصلها قومٌ لحذفت الواو وأبدلت فتحه القاف ضمةً للدلالة على الواو ، وكذلك فعل هيد (اي ذهب) اصلها هييدٌ حذفت الياء وأبدلت فتحه الهاء كسرةً للدلالة على الياء المحذوفة . ومن معتلة اللام فعل مطأ (اي جاء) اصلها بالغبين حذفت الالف الاخيرة لتخفيف ووضعت مدة على الاولى للدلالة على الالف المحذوفة . وهم جراً . وكذلك القول عن حروف المضارعة في صيغة الفعل المضارع . فيقال في صحفٌ بصحفٌ ونصحفٌ وتصحفٌ الخ . ولكن هذه الحروف المضارعة ساكنة في اللغة الجبشية على الإطلاق اذ لا بأس فيها من الابتداء بأساكن . على ان الفعل المضارع على هذه الصيغة لا يستعمل وحده في اللغة الجبشية بل يضاف اليه فعل مساعد في تصرفه كما يضاف فعل (Avoir) وفعل (être) في تصريف الافعال الفرنسية . وهذه الافعال المساعدة هي فعل (ألا) للحاضر (وأن) للماضي التامع بمعنى كان . فيقال : يصحفان (اي يكتب) ونصحفاله (اي تكتب) وأصحفاله (اي اكتب) ونصحفان (اي نكتب) وقرس على ذلك هذا عن الفعل .

اما الاسم ففيه السامي وهو قليل بالنسبة لاشتقاق نظير مُدْرُ (اي ارض) سماي (اي سماء) ونحوهما . على ان أكثر الاسماء في اللغة الجبشية مشتقة من الافعال ، لذلك نرى الميدان واسماً في المشتقات عندهم من اجل التعبير عن الاشياء الجديدة التي لا اسم لها قديماً في اللغة وخصوصاً المصادر واسماء الآلة .

المذكر والمؤنث سيف اسماء الاشياء مما عيان على الإطلاق ولا اداة تأنيث تدل على الاسماء المؤنثة . اما في الحيوانات فالاجناس يكتبون بذكر كمة ذكر وانثى مع الاسم عند التخصيص . فيقولون وَأَدْفَرَس (اي فرسٌ ذكرٌ عن الحصان) وسئبت فرس (اي فرسٌ انثى عن الفرس) وكذلك وَأَدْهَيَا (اي حمار ذكر) وسئبت أهيا (اي حمار انثى عن الحمار) وهم جراً .

صيغة الجمع في الاسماء الجبشية سالمة على الإطلاق وهي لفظه (أَوَّش) نراد

على آخر الكلمة فيقال مثلاً في فرس فرسوتش الا بعض الكلمات المعدودة تشذ عن هذه القاعدة فيجتمع على صيغ شبيهة بصيغ الجمع العربية نحو مصنف مصاحفة وقيس قساقسة (اي قس وهو الراهب تجتمع في اللغة العربية على قساقسة) ومن هذه ما تجتمع بالف وتاء نحو حوارى حواريات (وهو واحد الحوار بين وهم صحابة المسيح) وسماي سمايات . و يظهر ان الالف وتاء التي هي جمع للمؤنث السالم في اللغة العربية هي في اللغة الحبشية الاصلية لجمع المذكر السالم لذلك هم قالوا في سماي سمايات لان السماء مذكورة في اللغة الحبشية لا مؤنثة كما في اللغة العربية .

ولنتنقل بالبحث الى النحو فاقول :

النحو في اللغة الحبشية بسيط جداً ، فالخرف مبني على الاطلاق كما في اللغة العربية والفعل المضارع فيه شيء قليل من الاعراب وهو الجزم وان شئت فقل النصب وذلك بان يحذف النعل المساعد منه اذا دخل عليه (أن) الناصبة . اما الاسم فكالمغة العربية يصح ان يكون فاعلاً ومفعولاً به وان يدخل عليه احد حروف الجر وان يكون مضافاً ومضافاً اليه وهذه مجمل قواعد النحو في الاسم الحبشي . اما المنوع من الصرف والمبتدأ والخبر وكان واخواتها وان واخواتها وسوى ذلك من تطويلات النحو العربي فلا اثر لها في النحو الحبشي . يقوم الاعراب في اللغة العربية بتغيير حركات او حروف تحدث في اواخر اسمكم اما الاعراب الحبشي فيقتصر على زيادة نون ثنوين على آخر الاسم اذا كان مفعولاً به وهي كثنوين النصب في اللغة العربية اما المرفوع (اي الفاعل) والمخفوض اي المجرور بحرف جر او باضافة فلا دلالة ظاهرة في اعرابها وهما يعرفان من مكانهما في تركيب الجملة فيبتدأ بالفاعل وهو مبني ثم يأتي المفعول وهو منصوب بنون الثنوين تدخل على آخره ثم المخفوض الذي يعرف من دخول حرف الجر او الاضافة عليه والفعل يبقى لآخر الجملة كتركيب الجملة في اللغة التركية . فاذا قلنا مثلاً : اخذ الولد الكتاب بيده ، ركبنا الجملة هكذا : لدج مصحفن بأدجويار . فلدج اي الولد هي الفاعل وقد وضعت في رأس التركيب ثم مصحفن اي الكتاب وهي المفعول به تعرف من دخول ثنوين النصب عليها ثم بادجو (اي بيده) جار ومجرور ومضاف ومضاف اليه يعرف من دخول باء الجر عليه واضافته للضمير المتصل وياز هي

فعل أخذ الماضي وبها تحتم الجملة . بقي علينا كلمة عن الضمائر قبل ان نختتم البحث في آداب اللغة . فالضمائر في اللغة الجبشية متصلة ومنفصلة كشتقاقها في اللغة العربية فالمتصلة تتبع الاسم او الفعل وهي مبنية على الدوام كما في اللغة العربية نحو قولهم مصحفني (اي كتابي) مصحفك (اي كتابك) مصحفو (اي كتابه) . والمنفصلة تعمل عمل الاسماء فتبنى في حالتي الرفع والجر وتدخل عليها نون النونين في حالة النصب نحو انا اياك كلمت فيقولون انيه اتن نكروه .

آداب اللغة من معان وبیان وفصاحة ومنطق وعروض وسجع كله موجود في اللغة الجبشية ولكن بحالة اولية جداً . فالنظم مثلاً يوجد منه بعض مقاطيع قديمة هي خليط من اللغة الجبشية الاصلية واللغة الجبشية الامحورية ، ابياتها مقفاة ولكن اوزانها سقيمة جداً كالشعر العامي في العربية المعروف بالقرادي . وجميع هذه القصائد هي في مدح بعض الانبياء والاولياء او في تعظيم بعض الملوك والقواد الفاتحين . كذلك السجع لم أر منه الا في الاغاني الالهية وهي من هذا القبيل تشبه الاغاني العربية المسجعة التي تأتينا من مصر فتُحَنّ على الغام مختلفة واذا جردناها عن اصول الدغم وحسن صوت المغني نجدها كلمات لا طعم لها ولا نبرة . وما سوى ذلك من آداب اللغة فالفصاحة فيه كل الفصاحة يضعونها بالاختصار ما امكن وهي عندهم من باب : خير الكلام ما قل ودل على انهم مع ذلك يكثررون من التعظيم والاطناب ونقطة الكلام في الدباجة كما هو الشأن في اللغات الشرقية كافة .

واختتم على سبيل الفكاهة بمثال من الانشاء بعد عند الاحباش بالغا حذو الفصاحة . وهو صورة رقيم من النجاشي السابق منليك الى ابن اخته الراس مكوين امير البلاد الهربية الخاضعة له انشأ الكاتب الامبراطوري الخاص وحافظ اختام النجاشي يقول بعد وضعه ختم سيده في أعلى الرسالة كعادة قياصرة الرومان .

لقد ظفر الاسد الذي من سبط يهوذا رسالة منليك الثاني بنعمة الله ملك صهيون ملك ملوك الجبشة ، ابن سليمان بن داود حسب الجسد وابن بطرس وبولس حسب النعمة ، الذي يهده حياة رعاياه وموتهم ، الذي تعنوله بنو البشر والحيوان . الذي لا يخلف باسمه بشر باطلاً فيجي ولا يستخلف باسمه رجل فلا يطيع . الذي اذا قال

فعل واذا امر لا مَرَدَ لامره واذا قضى لا استثناف احكمه . جندي الله ومحارب
اعداء الله . الى الراس مكونين ، فليكن لك سلامنا ، بما ان عبدنا العقوق اوليه الذي
جعلناه راساً واقطعناه بلاد ابيه قد قام علينا ، ثم انت بجيشك وقنائه والنايه مكبلاً
بالحديد . تحرر في مدينة اديس ابابا في اليوم الثالث من ايام الذسي عام ١٨٧٠ من
سني النعمة .

المرحوم المعلم اوجانيو غريفيني

ولد المعلم غريفيني في ميلانو في ٢٦ من كانون الاول سنة ١٨٧٦ الموافق لمستهل
الحرم سنة ١٢٩٦ وكان منذ شبخته يميل الى تعلم اللغة العربية حتى شرع في درسها وليس
له معلم ثم رحل الى نابولي ونال هناك في المعهد الشرقي (R. Istituto orientale)
الاجازة في اللغة المذكورة وبعد ذلك تعاطى درس الفقه في مدرسة جاناوا (Genova)
الكلية ونال فيها الاجازة في الفقه ايضاً ، وبعد ذلك سافر الى الجزائر وتونس وطرابلس
الغرب ومصر وبعد رجوعه اختير معلم العربية في مدرسة فلورنسا (Firenze)
الكلية غير انه فضل الإقامة في الشرق واستقر في القاهرة وكان في السنين الاخيرة
من مقرري الملك فؤاد الذي جعله حافظ خزانته الخاصة :
واما تأليفه فهي كثيرة ونقتصر هنا على ذكر أهمها : ومنها كتاب صغير الحجم
كثير الافادة وضعه في عم اللغة الدارجة في طرابلس الغرب وسماه الثقافة اللوبية في
اللغة العامية الطرابلسية (Milano, Hoepli 1913) وهو يحتوي على قاموس
ايطالي وطرابلسي وفي اوله نبذة من قواعد هذه اللهجة .

وكان تاجر ايطالي قد جمع في صنعاء اليمن مخطوطات عربية عديدة فباعها من
خزانة الكتب في ميلانو المشهورة (L' Ambrosiana) وكانت ذلك بواسطة
المرحوم غريفيني فرتبها ووضعها في فهرس مطوّل ذكر فيه كل ما تضمنت تصانيف
ورسائل شتى ، ووجد فيما بينها كتاباً عنوانه مجموع الفقه وهو منسوب الى زيد بن علي
فطبعه المرحوم وذكر في المقدمة كل ما يتعلق بهذا الكتاب وزعم انه اول كتاب وضع

فعل واذا امر لا مَرَدَ لامره واذا قضى لا استثناف احكمه . جندي الله ومحارب
اعداء الله . الى الراس مكونين ، فليكن لك سلامنا ، بما ان عبدنا العقوق اوليه الذي
جعلناه راساً واقطعناه بلاد ابيه قد قام علينا ، ثم انت بجيشك وقائله والنايه مكبلاً
بالحديد . تحرر في مدينة اديس ابابا في اليوم الثالث من ايام النسي عام ١٨٧٠ من
سني النعمة .

المرحوم المعلم اوجانيو غريفيني

ولد المعلم غريفيني في ميلانو في ٢٦ من كانون الاول سنة ١٨٧٦ الموافق لمستهل
الحرم سنة ١٢٩٦ وكان منذ شبخته يميل الى تعلم اللغة العربية حتى شرع في درسها وليس
له معلم ثم رحل الى نابولي ونال هناك في المعهد الشرقي (R. Istituto orientale)
الاجازة في اللغة المذكورة وبعد ذلك تعاطى درس الفقه في مدرسة جاناوا (Genova)
الكلية ونال فيها الاجازة في الفقه ايضاً ، وبعد ذلك سافر الى الجزائر وتونس وطرابلس
الغرب ومصر وبعد رجوعه اختير معلم العربية في مدرسة فلورنسا (Firenze)
الكلية غير انه فضل الإقامة في الشرق واستقر في القاهرة وكان في السنين الاخيرة
من مقرري الملك فؤاد الذي جعله حافظ خزانته الخاصة :
واما تأليفه فهي كثيرة ونقتصر هنا على ذكر أهمها : ومنها كتاب صغير الحجم
كثير الافادة وضعه في عم اللغة الدارجة في طرابلس الغرب وسماه الثقافة اللوبية في
اللغة العامية الطرابلسية (Milano, Hoepli 1913) وهو يحتوي على قاموس
ايطالي وطرابلسي وفي اوله نبذة من قواعد هذه اللهجة .

وكان تاجر ايطالي قد جمع في صنعاء اليمن مخطوطات عربية عديدة فباعها من
خزانة الكتب في ميلانو المشهورة (L' Ambrosiana) وكانت ذلك بواسطة
المرحوم غريفيني فرتبها ووضعها في فهرس مطوّل ذكر فيه كل ما تضمنت تصانيف
ورسائل شتى ، ووجد فيما بينها كتاباً عنوانه مجموع الفقه وهو منسوب الى زيد بن علي
فطبعه المرحوم . وذكر في المقدمة كل ما يتعلق بهذا الكتاب وزعم انه اول كتاب وضع

في الفقه وانه منسوب على التحقيق الى زيد بن علي ، واعترض عليه غير واحد بان الكتاب طراً عليه تبديل اذ الرواية كلها او اكثرها ترجع الى حافظ لا يوثق به اعني ابا خالد الواسطي ويؤكد هذا الاعتراض ان خطوط هذا المجموع جديدة قريبة العهد فالارجح ان المجموع مما اخترعه ابو خالد وعلماء الزيدية زعماء منهم ان كل ذلك راجع الى زيد بن علي ، والله اعلم ، ولا شك ان كل هذا الاعتراض لا ينقص فضل المرحوم غريفي اذ في المجموع المذكور فوائد كثيرة تساعدنا على معرفة مذاهب الزيدية في الفقه ، واعتنى المرحوم ايضاً بتاريخ علم الفلك عند العرب وبعض شعرائهم المشهورين فايرز ديوان الاخطل وقصيدة منسوبة الى امرئ القيس وقصيدة قدم ابن قادم صاحب جبل ظبين وبين قصيدة الاعشى المعروفة بما البكاء .

وهذه التأليف كلها تشهد للمرحوم بالفضل فانه افاد بها من يشتغل باللغة العرب وعلمهم ويزيد ذلك اسفنا على موته العاجل ، يا ويلاه « ما في الناس من خلد » !
وتوفي المعلم غريفي في القاهرة في ٣ اذار ١٩٢٥ م و ٩ شوال ١٣٤٤ هـ

جويدي

هذا ما تفضل العلامة الكبير السنيور جويدي فكتبه بالعربية عن المرحوم غريفي وقد ترجم له احد اصدقائه في مصر الأستاذ السيد توفيق اسكار يوس في جريدة المقطم فما قال فيه :

ومن سنة ١٩١١ الى سنة ١٩١٣ في اثناء حوادث طرابلس الغرب عين سكرتيراً لادارة اركان الحرب ليرسم الخريط الجغرافية لمعرفته بأساء المدن والقرى والامكنة ثم عين مساعداً لامين مكتبة امبروزيانا بميلانو .

وفي آخر سنة ١٩٢٠ هبط مصر وكنت منذئذ من دار الكتب المصرية لترتيب مكتبة الديوان العالي من ابريل الى اكتوبر فكانت اول معرفتي به في قاعاتها حيث تسلم اعماله وبعد ان رجعت الى عملي وكثرت اجتماعاتنا كزميلين اما في الدار او خارجها .

ولما نشأت الفكرة لتأسيس جمعية للتاريخ ابجائها بالافرنجية بالقاهرة سنة ١٩٢١ اختير الدكتور غريفي سكرتيراً لها وانضم الى عضويتها كبار موظفي القصر وكانت

جمعية أخرى مصرية برئاسة معالي جعفر والي باشا قد ألفت في الجامعة المصرية وسن لها قانون قبل ذلك بعام ولكن من الأسف لم يتم تأليف الجمعيتين .
وفي فبراير سنة ١٩٢٢ كانت خرائب القسطنطينية قد تم استكشافها فلبى الكثيرون دعوة حضرة يوسف افندي احمد المنقش بحجة حفنظ الآثار الذي كان دليلنا ومحاضرنا الفاضل يشرح لنا الطرقات والمناسبات التاريخية وكان المترجم من اكثر المعتمين والمتبعين للشرح المفيد واخذ بنفسه صور اخوانه من اجتماعين واخذت له صورتان معهم للتذكاري .

وكثيراً ما كنت تراه وحيداً في تأملاته ينفرد بمفكراً ويعنى بكتابة مفكراته ويقيد فيها ما استفاد من رحلاته ومشاهداته ولا يبعد ان نظير تلك المفكرات في وقت من الاوقات مطبوعة بمنابة احد اصدقائه الذين يعنون بجمع كل ما ترك فقيدهم مع حصر مؤلفاته ونبذه ومقالاته سواء كانت باللغة العربية او الاجنبية فيظهر كتيب شامل لترجمة حياته وهكذا يعملون لتخليد ذكرى امواتهم الغداء ولا يكتبون بحفلات تأبين يندبون فيها الراحلين لان في هذه ما لا يعني او يشبع من جوع فالقوم عمليون لا خياليون .
وبمناسبة المقالات التي كان يكتبها اذكر ان كل اعتاده كان على طاقاته المترتبة بالموضوعات في ظروف خاصة معنونة باسم كل موضوع فاذا اراد كتابة ما يريد رجوع الى ظروفه الخاص وبعد ساعتين او ثلاث تجتمع لديه المادة المحبزة للمقال الوافي بالبيان الشافي .

وعلى هذه الوتيرة كانت ابحاثه ومذكراته ككتبت لمناسبات عن التاريخي والمعلم الاول ارسطو ثم عن حريق مكتبة مدينة الاسكندرية المنسوب خطأ عمرو بن العاص اذ كان العامل فيها غيره من الذين تولوا حكم مصر من قبل الرومان فترجم الاستاذ فيورلاني هذه القطعة بالاطالية لتنتشر في مجلة علمية مدعمة بالاسانيد التاريخية الصحيحة .

على ان اهم بحث وقف عليه الاستاذ هو ذلك الذي خصصه للمعلم بأصل التثريب العام وتاريخه في العالم وعند كل أمة فقد ذكر في بحث جه الفوائد او من جمع وصنف فيه من اهل الكتاب في المشرق سواء كانوا من العرب المسلمين او النسطورية او

السريان او الارمن او يهود العراق او يهود سورية او من الطوائف واصحاب الديانات
الاخري الاسيوية كانت او افريقية .

وانه واي الحق لبحث مسنيض غزير المادة مدعم بالاسانيد يدل على مبلغ علم
الرجل وقيمة ادبه وفضله وتعشقه للغة العربية التي تخصص فيها واصبح علماً يقصد ويعرفه
كثير من المصريين وغيرهم من علماء الاجانب .

اجل ان هذا البحث لمستطاب بذل فيه عناية خاصة فرتبته سهلاً وجعله كشجرة
شبيهة بما يستعمل الانساب على أسلوب تاريخي مقارن . فالبحث يبدأ من القرن الثالث
لميلاد اي من عهد مجموع القوانين الرومانية التي جمعها امبروسيوس اسقف ميلانو
(وكانت تعرف قبلاً باللاتينية « ميديولان ») ويقول الاستاذ ان تلك القوانين جمعها
الاسقف بثلث المغة ثم نقلت الى السريانية ثم ترجمت الى الحبشية سنة ٦٨٧ ميلادية
نقلًا عن مجموع القوانين القبطية المنسوبة الى الانبا ميخائيل اسقف ملج الذي كان في
القرن الثاني عشر للميلاد والمفهوم انه كانت للكنيسة قوانين مجموعة قبل ذلك ومنسوبة
الى الاسعد بن العسال وهو المشهور باسم المجموع الصغوي وقد ترجمت ايضا الى المغة
الحبشية وهي معمول بها بتلك البلاد وقد وقف على ترجمتها بعد تحقيقها الى اللغة
الابطالية الاستاذ اجناتسيو جوكيدي المشهور (الذي كان بين طهرانيا بمصر وصرف
ثلاث سنوات . رسا في الجامعة المصرية عند تأسيسها) في مؤلفه الكبير المعنون
بفتحانجست اي قانون ملك الملوك .

وقد استخلص المترجم من كل ذلك ان تلك الشرائع الشرقية المختلفة مستمدة كلها
من نموذج اصلي واحد يمتشى عهده في القدم مع تاريخ البشر ان كان من قبيل
التصنيف او التبويب الاول بينما هي مستقلة بعضها عن البعض الآخر من جهة العقائد
والاحكام والاصول والفروع والانتساب الى الاديان لا الى علم الفقه في ذاته ومبديه
وانه واحد من روما الى العراق ومن ارمينية الى مصر والسودان والحبشة مثل قوانين
بناء العمارات وفن المباني مع بقائها مستقلة بالنسبة لمخالة الجوية كل قانون على حدته
بما يلائم ذوق كل بلد وتلك آثار تدل على انه ليس في الدنيا لا بشر واحد ومدنية
واحدة وحق واحد وعلم واحد . اذن فليس الاختلاف الا في اسماء الاجناس

والقبائل والمشار ومواقع الاوطان وعقائد الاديان وهذا هو بيت القصيد وما يرمي اليه المترجم وذلك آخر بحث من بحاث مقدمته الطويلة . فهل بتقديم بعضهم لتعريب مخصه بما يفيد الشرقيين؟ يقيني انه بهمهم قبل ما يهتم الباحثين من ابناء الغرب المحتمدين مثلهم ان يعلموا آثار الاجداد ولو ان « مستهل » بغداد قد انتقده في الحلال ١٩٢١ انتقاداً ركيكاً لم يقلل من قيمة الكتاب .

وآخر ما ذكر للمترجم من فضله على التاريخ والادب نقله صورة من «مع القوايين المضية في دواوين الديار المصرية» للامير عثمان بن ابراهيم البابلي الذي تولى نظارة الدواوين المصرية في سنة ٦٣٢ هجرية ومكث ٢٢ عاماً رتبها على مقدمة وخمسة ابواب وبين فيها ما يجب به حفظ بيت المال وترتيب الدواوين والولاية واقسامها وغير ذلك بنسخة كاملة مخطوطة بدار الكتب مع اخرى بها خرم موجودة في الدار وتفيد في المقابلة وكان المترجم قد نسخ من المخطوط الاول صورة بنسخه من نحو ثلاث سنوات يريد اعدادها للطبع بعد اجثا لذيدة ومقارنات مثيدة كعادته ويظهر انه اتمها ثم استأذن الدار في استعارة الاصل والنسخة الاخرى الخرومة وشرع في المقابلة بينها وبين لما اشتد عليه المرض ورأى عدم قدرته على الاتمام ارجع الامانة الى مكتبها بالدار في منتصف ابريل الماضي وقد وجد المخطوط المنقول على مكتبه بالديوان العالي وأرسل كوهيته الى ميلانو .

وكان المترجم متبعاً لحركة العلمية الاستكشافات والنقيب فان بعثة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة عثرت في ادفو سنة ١٩٢٣ على « الجامع في الحديث » تأليف ابي محمد عبد الله بن وهبه بن مسلم المنذري القرشي بالولاء المصري المولود في ذي القعدة من سنة ١٢٤ هـ وقيل سنة ١٢٥ وهو كتاب جامع في الحديث بخط معتاد ويظن انه كتب في اوائل القرن الثالث الهجري على اوراق بردية .

فهذا المجموع بعد ما اخذت صورته الشمسية (وقد علمنا ان الاستاذ كانازا المستعرب الفرنسي أعلم المستشرقين بهذا الاستكشاف في العام الماضي) أودع بدار الكتب المصرية وفي قاعة المعرض وقد يأتي اليوم الذي يطبع فيه وينشر على الملأ لفائده العظمي .

ومن قبل عنايته ان عرض بعضهم للبيع مخطوطاً من صحيح البخاري في جزئين بخط الشيخ احمد بن عبد الوهاب النويري صاحب نهاية الارب في التاريخ والادب (الذي طبعه دار الكتب المصرية وقد ظهرت منه خمسة اجزاء) مكتوب عليه ان هذه النسخة هي الثالثة من نسخ ثلاث كتبها بخطه ولكن نظراً لان تاريخ كتابها لا يوافق من سن النويري المذكور الا سن الحادية عشرة فقط استبعد المحققون والمترجم في مقدمتهم ان يكون الكتاب بخطه وتلك ملاحظات لا يعرفها غير الخبيرين المدققين .
وكم كان سروره عظيماً اذا استشير في نشر كتاب عربي قديم مفيد فانه ما كان يتأخر في ابداء نصيحته وتقديم معوماته القيمة وفي اذكر مثلين :

الاول — كان بين تلاميذه آنسة ايطالية اسمها «كوديسي» بين خريجي جامعة ميلانو ارادت الاشتغال والاشتراك في المؤتمر الجغرافي الدولي المنعقد في ابريل الماضي بالقاهرة فاسترشدت معلمها فارشدها الى كتاب آكام المرجان في ذكر المداين المشهورة في كل مكان تأليف اسحق بن الحسين النجم وهو الذي يشير اليه الادريسي في اول كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق وابن خلدون في مقارنة تاريخه الكبير ولم يعرف عن آكام المرجان هذا الا النسخة المخطوطة المحفوظة بالقسم العربي بمكتبة ميلانو واصلها من صنعاء اليمن فهذا الارشاد حمل الآنسة المذكورة على ان تعمل بجد في نشر الاصل العربي مع ترجمة ايطالية وحواش وفهارس على النمط الذي سلكه المترجم في «المجموع الكبير في الفقه» انتقدم ذكره وبالطبع سيذكر في المقدمة شي واف خاص بالمؤرخ والجغرافي المعروف عند الافرنج باسم ايون الافريقي مع ان اسمه الحقيقي حسن الوزاز او الوزان القاسمي الفرناطي وقد وضعه باللغة العربية .

الثاني — لتقديم معلومات عن النيل ومن الف فيه من علماء القرون الوسطى الى المقامات العالية المجاعة بارشاد الى مصادر قيمة في التاريخ والجغرافيا كالتخزومي واغلي والسيوطي والمنوفي .

آراء وافكار

حفلة تكريم امير الشعراء

« في دار المجمع العلمي العربي »

أقيمت في دار مجمعا العلمي عصر يوم السبت الواقع في ١٠ آب سنة ١٩٢٥ حفلة تكريم كبرى باسم امير شعراء العصر (احمد شوقي بك) أقامها جمهور من ادباء الحاضرة على اختلاف الطبقات والطوائف وقد شهدها جمهور كبير من اعيان دمشق وعلمائها وفضلائها قدر بالف وخمسمائة وفيهم صائفة كبيرة من طلاب المدارس العالية وعامة الناس الذين أصبحوا في شوق شديد الى رؤية (شوقي) واستجلاء هلاله . بعد ان سمعوا الدر من لفظه . واستمر الحلال من اقواله .

افتتح الحفلة الاستاذ السيد محمد كرد علي رئيس المجمع بخطاب وجيز رحب فيه بالضيف الكريم وأشار الى مقاصد الحفلة والداعي اليها ثم قال : « ان اجتمع الدمشقيون في هذه الردهة التي اشتهرت بتعظيم النوايع والتنويه بالنبوغ فانما كان اجتماعهم اليوم لتكريم مصر . وناهيك بفضل مصر على كل مصر . واذا اغتبطوا بان قاموا بواجب عليهم فسر اغتباطهم انهم رأوا طلعة عزيز على مجتمعتهم افضل عليه بأدبه اي افضال واظهر الشعر في غير مظهره الذي كان له في القرون الاخيرة . ولا عجب فان احمد شوقي في شعراء القرن الرابع عشر كسميه أبي الطيب احمد بن الحسين المتنبّي في القرن الرابع مع مراعاة ما بين العصرين من الفوارق » ثم قارن بين الشعارين من جهة انها رزقا السعادة في شعرهما لكنه خالف بينهما من جهة خلة (الوفاء) إزاء ممدوحيهما . فان « عميد الشعر في هذا العصر وفي نخدومه في حالي الاقبال والادبار ونداء له في هذا السبيل من ابواب المروءة كل عناء » .

ثم نهض الاستاذ السيد شفيق جبري فالتقى قصيدة جمعت بين عاروبة الانفاظ وجمال المعاني وقد قال في مطلعها :

حانت الى بردى فخي رجالها الله مكن في العيون مثالا
نلك الاواصر لم نزل معقولة من عهد عمرو من يحل عقلاها ؟

الى ان قال مخاطباً المحنفل به :

غنّ الديار وقد نزلت بالها
لشعر آيات اذا غنى بها
فعمسى القوافي ان تذكر آ لها
أهل الحى فعلت بهم افعالها
ومنها :

القت اليك العبقريه سرها
لله شعرك في القلوب فانه
وحنث عليك وجرت اذيالها
بلغ القلوب فبهزها وأمالها
ملكك براعتك البان وقصرت
فصقلت حاشية القريض ولم تكن
عنها يراع ما تصول حياها
متكلفاً تدبجها وصقالها
شوقي امير الشعر غير مدافع
غرر القريض خلت له وخلاها
واذا الجزيرة صدرت شعراءها
كانوا عيالاً وهو بذ عيالها

وبعده انبرى الاستاذ السيد فارس الجهوري فالتى خطبة غاية في الحسن والفائدة استعملها بوصف الآثار التي يتركها السلف للخلف فمنها الصوامت وهي المعالم المادية ومنها النواطق وهي ما تركه العلماء والشعراء من المآثر والآثار وفضل الثانية على الاولى ثم ذكر علائق القطرين فقال : (في ما عدا الجنس واللغة وهما امثن الروابط القومية قدأئتلف القطران بالنظام الاداري امداً طويلاً وما ان الشريعة الاسلامية الغراء ما زالت منذ ثلاثة عشر قرناً مسيطرة على تسديد المعاملات وتنظيم الشرائع في مصر وسورية على نمط يكاد يكون واحداً ولا يجهل العارفون ان وحدة التشريع لنشئ الاقوام على وحدة المبادئ والعادات وثقوب المتباعدين فكيف بها بين قطرين شقيقين وقومين متجدين في عنصرهما واسانها) . ومن كلماته الجميلة في المحنفل به قوله :

(ربما كانت هذه المرة هي الأولى التي يزور بها شاعر العرب مدينة دمشق بيد ان فصائده الرائعة ما زالت منذ امد بعيد تفتح قلوب السوريين وتعدله فيها منازل الاكرام والاعجاب . كل بيت من شعره بنى له في القلوب بيوتاً عامرة ينزل بها على الرحب والاعزاز . فلا جبال سيناء التي تعاصى بلوغها على موسى الكليم ولا البحر الماصل الذي صد فرعون وجنوده عن اللحاق بابناء ابراهيم — كانت فادرة على ايقاف سبيل الشعر

العذب الذي يرسله أمير الشعر الموجه تنو الموجة فيثب فوق الجبال ويخوض لجج البحار
وينتهي الى القلوب المكتنبة فينعشها والى المهبج الظامنة فيروها .
وتلاه السيد تيسير ضبيان فتاب عن الاستاذ السيد خليل مردم في القاء قصيدته
التي جاءت جيدة السبك محكمة النسيج والحبك افتحتها بقوله :

برزت برزنتها اليك الشام واقتر بشراً شعرها البسام
فتجاوب الاطيار بين رياضها منها عليك تحية وسلام
ووصف شعر الحنفل به فقال :

واشدت اسر الشعر فيك وطالما كنت تساور جسمه الاسقام
تبني من الابيات كل ممد لمن شأنه التشبه والاحكام
في كل بيت غادة تنويلها ووصالها الا عليك حرام
ونشار الى مجد الشام القديم فقال :

قد كان للجد الموطد ركنه من قاسيون ذروة وسنام
ثم واستلم دور الخلافة انها امسى لها يد الردى استسلام
طف في زواياها وعظم شأنها من شأنها التعظيم والاكرام
مازادها اخضراء صوح غصنها وعلا محيادها الوسيم فقام
فكانها لم يأتلق في افقها عمر الخليفة والامام هشام
اعزز على الخلفاء ذل بلادهم ولوانهم تحت التراب رمام
ولم يكد السيد تيسير يتم انشاد هذه القصيدة حتى تطالت الاعناق الى الحنفل به
(احمد شوقي) واستمع قصيدته فقام السيد نجيب الريس وانشدتها بالنيابة عنه وها هي
بنصها الشائق :

ق ناج جلق وانشد رسم من بانوا مشت على الرسم احداث وازمان
هذا^(١) الاديب كتاب لا كفاء^(٢) له رث الصحائف باق منه عنوان
الدين والوحي والاخلاق طائفة منه وسائر دنيا وبهيات

(١) الاشارة الى اديم الارض كلها لا اديم جلق وحدها . (٢) اي لا نظير له

ولا مثيل .

ما فيه ان قلبت يوماً مجواهره
بنو أمة الانباء ما فتحوا
كانوا موكباً سرى الشرق تحتهم
عالين كالشمس في اطراف دولتها
يا ربّ قاي! أمة اناب ارسنهم
بالامس قت على ازهراء اندبهم
في الارض منهم سموات والوية
معادن الزقد مال الرغام^(١) بهم
لولا دمشق لما كنت طليطاة
سمرت بالمسجد الحزون اسأله
تغير المسجد الحزون واختلعت^(٢)
فلا الاذان اذان في منارته

آمنت بالله ولم تثنيت جنته
قال ان رفاق وقد هببت سحائبها
جرى وصفق يلقاها بها بردى
دخلتها وحواشيها زمردة
والخور في (دمر) ا حول هامتها
(ربوة) الواد في جلباب راقصة
والطير يصدق من خف العيون بها
واقبلت با ابات الارض محتلتاً
وقد صفا بردى لاربح فابتدرت

دمشق روح وجنت وريحان
الارض وارها الفجاء بستان
كما ثلثاك دون الخلد رضوان
والشمس فوق جين الماء عقبان
حور كواشف عن ساق وولدان
الساق كاسية والنحر عريان
وللعيون كما للطير الحان
افوافه^(٣) فهو اصباغ ولوان
لدى ستور حواشين افان

(١) عنصر الراد يوم الحبيب (٢) الرغام التراب (٣) بغداد لغة في بغداد .

(٤) اي ثنابت (٥) افوافه تزيينه .

ثم انثنت لم يزل عنها البلال ولا جفت من الماء اذ يال واردات

خلفت لبنان جنات النعيم وما بُدئت ان طريق الخلد لبنان
حتى انحدرت الى فيحاء وارفة فيها الندى وبها طي وشيبان
نزلت فيها بفتيان جماحجة آباؤهم في شباب الدهر غسان
بهض الأمرة باق فيهم صيد^(١) من عبد شمس وان لم تبق تيجان

يا فنية الشام شكراً لا انقضاء له لو ان احسانكم يحزبه شكران
ما فوق راحاتكم يوم السباح يد ولا كأوطانكم في البشر اوطان
خميلة الله وشتها يد لكم فهل لها قيم منكم وجنان
شيدوا لها الملك وابنوا ركن دولتها فللملك غرس وتجديد وبنيات
لو يرجع الدهر مفقوداً له خطر لآب بالواحد المبكي نكلان
الملك ان تعملوا ما اسطعتم عملاً وان بين على الاعمال انقاف
الملك ان تخرج الاموال ناشطة لمطلب فيه اصلاح و عمران
الملك تحت لسان حوله اديب وتحت عقل على جنبه عرفان
الملك ان تلاقوا في هوى وطن نفرقت فيه اجناس واديان

نصيحة ملؤها الاخلاص صادقة والنصح خالصه دين وايمان
الشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة او حكمة فهو نقطيم واوزان
ونحن في الشرق والفصحى^(٢) بنورحم ونحن في الجرح والآلام اخوان

—o—o—o—

مطبوعات حديثة

حاضر العالم الاسلامي

تأليف السيد لوثرود ستودارد الامريكى نقله الى العربية السيد عجاج نوحىض
وعلق عليه حواشي الامير شبيب ارسلان طبع في مصر سنة ١٣٤٣ بالمطبعة
السلفية في مجلدين دخلا في ٨٥٣ صفحة

مؤلف هذا الكتاب ممن استبطنوا اسرار المدنية الاسلامية واحسنوا الظن كل
الاحسان بالعرب ومدنييتهم ، تكلم في كتابه هذا بصدق وفهم وخلو غرض خلافاً
لاكثر من يخوضون هذه الموضوعات من الغربيين فانهم ينظرون فيها الى ما يوافق
رغائب دولهم ومطالب اممهم ويدرسون درساً حقيقياً لا تجر فيه فتضيع الحقيقة على الاكثر
فيما تخطه اناملهم ويسودون به صفحاتهم وقد تكون النعرة الدينية حاکمة عليهم . وقد
اجاد ناقل هذا السفر في تعريبه حتى لا تكاد تشعر بانك تقرأ كتاباً مغرباً ، بل كلاماً
كتب مباشرة ببيان جميل استوفى حظه من الدعاية العربية ، والكتاب مفيد جداً
في بابيه ، وافيد منه تلك الحواشي المستفيضة التي وضعها في دقائق احوال الامم الاسلامية
وتطورها الحديث العلامة المحقق الامير شبيب ارسلان ، ومن اكثر منه وقوفاً على
احوال السياسة الحاضرة والعايرة في هذه الامة العربية ، فقد افاض في الكلام على
مسلمي الصين ونهضتهم ومسلمي الجاوى وما جاورها ومسلمي الروسية والاسلام
والجنود السوداء والاسلام في افريقية والصراع بين الاسلام والنصرانية . وكتب
مقالات ممتعة في السودان والعرب في الكونغو وعلى سلطنة رايج ومملكة واداي ودارفور
وبافيري وبورنو وغيرها من ممالك اواسط افريقية كما توسع في ذكر شرقي افريقية
ومسلي الحبشة وماداغسكار وبيان تاريخ الممالك الاسلامية الهندية وتعرض لذكر
المعتزلة والوهابية وشرح مذهبها ولذكر الخوارج والبابية والبكاشية ، وألم بالمبادي
الاشتراكية في الاسلام وتوسع في بيان اعمال انور بنشا ورفقائه من الاتحاديين
العثمانيين ، وترجم لكثير من زعماء النهضة الاسلامية في الم والم والسياسة مثل السيد
جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده والامير محمد بن عبد الكريم زعيم الريف

والشيخ شامل الطاغستاني والامير عبد القادر الجزائري الى غيرهم من المشاهير .
كل ذلك بدقيق لا يصدر مثله الا من قلم الامير شكيب ومن افراد قلائل جداً
في مجموع الامة ، معتمداً فيه على مصادر عربية وافرنجية وعلى اختبارات وأخباره
الخاصة ، ومن خاض مثله الى الركب في معمعان السياسة مدة اربعين سنة كانت
جديراً بان يملئ كل نافع ممتع ، ومن رزق الاجادة في البيان اجادة صديقنا الامير
يحيى وعلى كلامه مسحة من بيان اقدم البلغاء ، وعبقه من الروح العربية الشريفة .
ولقد تجارزت الحواشي التي كتبها الامير شكيب حجم الكتاب الاصيل وهي تصلح ان
تكون سفرأ برأسه يرجع اليه كل حين ، ويجد فيه كل مسلم او باحث في احوال
المسلمين والاسلام خير مصدر يستقي منه ويهتدي بهديه وادبه ، ولا تغالي اذا قلنا
ان كتاب حاضر العالم الاسلامي من اجل الكتب النافعة التي زينت القاطر العربية
في عهدنا الاخير .

محمد كرد علي

المليسر والقدياح

لاني محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ
علق عليه ووضع فهرسه السيد محب الدين الخطيب نقلاً عن المثال الفطوغرافي
المحفوظ في الخزانة الزكية بالقاهرة وطبع في المطبعة السلفية سنة ١٣٤٣ (ص ١٧٣)
ابن قتيبة عالم السنة وثاني الجاحظ ، وتأليفه متعة الانفس ومعملة كل طالب ،
وقد طبع حتى الآن بضعة كتب من تأليفه منها « ادب الكتاب » و « تأويل مختلف
الحديث » و « عبون الاخبار » و « المعارف » . ونُسب اليه « الامامة والسياسة »
واكثر المحققين على انه ليس من تأليفه . ونشر له في المجلد الثاني من مجلة المقتبس اكثر
كتاب الاشربة وتفضيل العرب في الرد على الشعوبية في المجلد الرابع ، أضفنا هذا
الى رسائل البلغاء في طبعها الثانية . وقد احسن الآن صديقنا الاستاذ المحقق منشي
مجلة الزهراء الغراء في القاهرة بنشر هذا الكتاب من تأليفه ، وعلق عليه تعليقات
تفسر غامضه ، وثبت الصحيح من مختلف رواياته ، دل على علو كعبه في التحقيق وبعد غوره
في اللغة والادب . والكتاب وان كان اشبه بباب الرقيق في الفقه يتلى اليوم للاطلاع

فقط ، الا انه مما يشفع فيه كونه من قلم ابن قتيبة ، وعلماء الادب حريصون على نشر كل سطر يؤثر عن عظماءهم فما الحال بما يؤثر عن ابن قتيبة . فالشكر لناشره الذي بعد في جملة من يسدون بما ينشرون ابادي بهضاء على الاداب العربية .
محمد كرد علي

نهضة اليابان

وتأثير روح الأمة في النهضة

تأليف « العقيد » السيد طه الهاشمي طبع في مطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٣٤٣ - ١٩٢٥ (ص ١٩٦)

مؤلف هذا الكتاب بغدادى يعد من الممتازين بعلوم بين رجال الشورى العسكري في الدولة العثمانية وقد جود تصنيفه فذكر آراء بعض علماء الاجتماع في حياة الامم والنهضة العربية واسباب ارتقاءها وتدهورها والنهضة الروسية وتأثيرات المصلحين من الروسين ولا سيما بطرس الاكبر ونهضة اليابان وما طرأ عليها حتى ادهشت العالم الى غير ذلك من الفوائد التاريخية والاجتماعية التي يستفيد منها كل مطالع خصوصاً في الامم العربية التي هي في بدء نهوضها فثمني على عناية المؤلف ونرجو ان يظل على متابعة اعماله العلمية النافعة في نشوء هذه الامم وارتقاءها .
م. ك.

مبادي الاقتصاد السياسي

تأليف الاستاذ شارل جيد تعريب الاستاذ السيد توفيق السويدي . الجزء الاول طبع بمطبعة دار السلام ببغداد سنة ١٣٤٣ - ١٩٢٤ (ص ٦٤٩)
شارل جيد احد ائمة الاقتصاد السياسي في فرنسا وكتبه معروفة مشهورة وقد احسن صديقنا الاستاذ السيد توفيق السويدي في تعريبه هذا السفر النفيس تعريباً جميلاً قريباً من اذهان الدارسين لهذا العلم المفيد وقد ذكر المترجم انه اعترضه خلال الترجمة صعوبات حمة لا يعرف مقدارها الا من عاى صناعة الترجمة او التأليف في الفنون التي يشغل بها اسلافنا ولم تنجحها افلام المعاصرين من ابناء لغتنا . ولكن